الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية — كلية الآداب و العلوم الإنسانية

قسنطينة — قسم : اللغة

شعبة : اللغة العربية و الدراسات القرآنية

عنوان البحث

آيات العذاب و النّعيم في القرآن الكريم

"دراســـــة فنيـــــة"

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية و الدراسات القرآنية

إعداد الطالبة :

سعـــاد بولشفار

تحت إشراف :

الدكتور عمر بوقرورة

السنة الهجرية : 1420 – 1421

السنة الميلادية : 1999 – 2000

جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه

الإهداء

إلى الذي ودعنا دون وداع.

إلى الذي غادرنا إلى الأبد.

تاركا دمعا سائلا، و قلبا حزينا.

إلى الذي ينام الآن في تربة القبر.

إلى الذي سعى معي خطوات رائعة أثناء إنجاز هذا البحث المتواضع.

إليك يا " جمال " أهدي ثمرة سنوات ثلاث، لك و لنور بصرك " أميرة هاجر"

فتقبلها هدية إلى أن نلتقي، في ذلك الغيب البعيد القريب.

****

إلى من تكفل بطبع هذه الرسالة، ولم يبخل ولم يجر، إلى صديق العمر، زوجي العزيز : سليم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلمة الشكر

الشكر أولا لله عز و جل ثم لعباده.

و لوالدي الكريمين " أمي فاطمة " و " أبي يوسف "، اللذان تعبا من أجلي، حتى وفقت إلى هذه النعمة، نعمة الدراسات القرآنية. فاكتب لهما يا ربّ بكل حرف حسنة صدقة جارية إلى يوم القيامة.

و لأستاذي المشرف د "عمر بوقرورة " دون أن أنسى زوجته، و عائلته جميعا.

و لإخوتي : محمد، جمال، مراد، أحمد، عبدالوهاب، مصطفى، الذين لم يدخروا جهدا لمساعدتي.

و لأخواتي : فتيحة، خدوجة، دليلة، اللاتي شجعنني على إكمال دراستي.

و لكل عائلة عمي بقسنطينة، خاصة " سامية ".

و لكل بنى و بنات أخواتي الذين دعوا لي في السر و العلن، و ساعدوني في سنوات البحث و الجد.

و لعائلة زوجي، و خاصة والديه الكريمين.

دون أن أنسى أساتذتي بمعهد الحضارة الإسلامية خاصة في مرحلة الليسانس.

و لكل من قدم لي كتابا ساعدني لإنجاز هذا البحث : وداد بيلامي، ليلى لعوير، عقيلة قرورو، مكتبة جامعة الأمير عبدالقادر، و زوج أختي عبدالحميد، الذي كان له دور في توجيهي منذ الصغر لحب اللغة العربية، و الوفاء لها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مـــقـــدمـــة

الحمد لله ﴿ الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلـــق : 4-5. الحمـــد لله حمـــد الشـــاكرين، و حمد التائبين، و حمد العالمين، و حمد العاملين، و حمد المجاهدين... الحمد لله حمدا كثيرا عدد خلقه، وعدد سمواته و أراضيه، و عدد ما فيهما. و أشهد أن لا إله إلا الله، له الملك و له الحمد، و هو على كـــل شـــيء قدير. و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، بلّغ الأمانـــة، و نصـــح الأمـــة، و جـــاهد فـــي الله حـــق جـــهاده، و رغّب في العلم ترغيبا كثيرا، صلوات الله و سلامه عليه، و على آله و صحبه و من تبعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

من الأركان التي لا يتم الإيمان إلا بها الإيمان باليوم الآخر، هذا اليوم الذي يعد من علوم الغيب، يوم ذو شأن عظيم، جاء الإخبار عنه في أغلب السور القرآنية- باستثناء بعض منها و هـــي قليلـــة- و بمـــا أن مجـــال الدراسات القرآنية رحب، فإن الوقوف على آيات اليوم الآخر خاصة من الناحية الفنية ، يعتبر فرصة للـدارس الراغب في معرفة و لو جزء بسيط من أسراره اللغوية و البلاغية و النفسية...و لقد كان المشجع لـــي علـــى البحث في آي اليوم الآخر كتاب " مشاهد القيامة في القرآن " لسيد قطب، الذي يعتبر فريدا من نوعه، وفريـــدا في منهجه . إذ أنار بصيرتي على جزء هام من الآيات الخاصة، التي تعتبر جوهر اليـــوم الآخـــر، و هـــي الآيات المتعلقة بالعذاب و النّعيم، أو بموضوع الجزاء بشقيه – العذاب و النّعيم –، و بعد قراءتـــي للكتـــاب، عكفت على جمع الآي الخاصة بهذا الموضوع، من المصحف الكريم، من أول سورة إلى آخر سورة. و قـــد بدا لي منها بوضوح صورة الإنسان في كلا الجزاءين ، ممّا شجعني و رغبني كثيرا في التأمل و الدراسة.

و قد كانت أولى خطوات هذا البحث بعد الجمع و التأمل و القراءة، اختيار **العـــنـــوان** كالآتي :

آيات العذاب و النّعيم
في القرآن الكريم

" دراسة فنية "

و قد هداني كتاب " مشاهد القيامة في القرآن "، و كتاب " التصوير الفني فـــي القـــرآن " إلـــى هـــذا العنوان. إذ استعمل "سيد قطب " جملة مشاهد العذاب و النّعيم، حين دراسته لآيات اليوم الآخر. و قد آثـــرت أن يكون بدل كلمة مشاهد آيات، باعتبار المشاهد قبل كل شيء آيات قرآنية، موضوعها العـــذاب و النّعيـــم، هذان الجزاءان المتضادان و المتقابلان، اللذان يعتبران الهدف الذي يأتي لأجله اليوم الآخـــر. أمّـــا قولنـــا : في القرآن الكريم؛ حتى تكون هذه الدراسة قرآنية فحسب، بعيدا عن مجال المقارنة بين كتاب الله عز وجـــل، و بين التراث البشري. أمّا قولنا : دراسة فنية، و هذا لالتماس مواطن الجمـــال القرآنـــي، بالاعتمـــاد علـــى الدراسات الجزئية، مثل التصوير، دراسة التراكيب، دراسة الأساليب... للوقوف على جزء و لو قليـــل مـــن دلائل الإعجاز البياني و اللغوي.

إشكال البحث :

اعتمد البحث على إشكال محدد بالاعتماد على كتاب " التصوير الفني في القرآن ". فمن الدارسين الأكفاء الذين ملأوا سمع الدنيا بمؤلفاتهم المتنوعة المفكر الإسلامي " سيد قطب "، الذي يعد من أهم الباحثين الإسلاميين الذين وهبوا للمكتبة الإسلامية، و المكتبة القرآنية زبدة جهودهم الفكرية، فمن بين الجهود المعتبرة كتاب " التصوير الفنّي في القرآن الكريم "، الذي أصدره سنة 1945م. بعدها اتخذه الباحثون معتمدا أساسيا في دراساتهم القرآنية إلى وقتنا الحالي. فلا يخلو بحث علمي أكاديمي في مجال الدراسات القرآنية من الاعتماد عليه. و من الأطروحات التي أثارت انتباهي عند قراءتي للكتاب، اعتبار سيد قطب أن الأداة المفضلة في أسلوب القرآن هي ا لتصوير، و لأن مبدأ الشك حق لكل باحث في كل الميادين العلمية، فقد اخترت أن يكون منطلق هذه الدراسة القرآنية هذا الإشكال :

إذا كان التصوير الفنّي هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهل هو الأداة المفضلة في آيات العذاب و النّعيم؟ و إذا كان كذلك، فما هي أهم خصائصه الفنية؟ وهل يمكن أن تكون آيات العذاب و النّعيم انطلاقا من هذا الإشكال مدرسة أدبية متميزة؟

سبب اختيار البحث :

1- الرغبة الأكيدة في الاطلاع على حقائق اليوم الآخر، خاصة من جانبي العذاب و النّعيم.

2- الرغبة الأكيدة في دراسة فنية مراعاة لما تميل إليه نفس الباحثة. إذ كان المحفز لها دراسة هامة؛ ألا و هي كتاب " مشاهد القيامة في القرآن " . خاصة من جانب الأسلوب الذي تفرد به في دراسة الآيات، و الذي دفعني إلى الوقوف على مشاهد – آيات – العذاب و النّعيم، مفردة إياها باهتمام، دون المشاهد الأخرى، ففيهما تتعذب الذات البشرية، و فيهما تتنّعم، فالعذاب عالم خاص، متجدد و مستمر، و كذا النّعيم، فهما ليسا عبارة عن معنيين مجردين فقط.

منهج الدراسة :

و قد كان منهج هذه الدراسة الفنّية استقرائيا تحليليا، باعتبار الاستقراء دراسة من الجزء إلى الكل. أو من الخاص إلى العام. إذ بدأ بدراسة الآيات من أصغر جزئية –اللفظة– إلى دراسة العبارة، إلى دراسة النص القرآني بأساليبه و قوالبه التصويرية. علاوة على هذا اعتمدت الدراسة على التحليل لاستخلاص بعض السمات الفنّية. فكما يقول عبدالقاهر الجرجاني : << **و اعلم أنّك لا تشفي العلة و لا تنتهي إلى ثلج اليقين حتى تتجاوز حد العلم بالشيء مجملا إلى العلم به مفصلا، و حتى لا يقنعك إلاّ النظر في زواياه و التغلغل في مكامنه**>>[1].

إضافة إلى كل هذا، فقد وقع الاختيار على أن تكون هذه الدراسة دراسة موضوعية، خاصة بآيات العذاب و النّعيم، دون مشاهد القيامة الأخرى؛ كالتغيرات الكونية، و البعث...

1- دلائل الإعجاز- في علم المعاني-/عبدالقاهر الجرجاني/وقف على تصحيح طبعه و علق حواشيه: محمد رشيد رضا/دار المعرفة : بيروت /دط/دت/ص200.

وقد قمت بدراسة آيات كثيرة في فصول هذه الدراسة لعلة واحدة هي محاولة رصد الظواهر البيانية المشتركة بين الآيات القرآنية المختارة في إطارها العام و الخاص، كدراسة ظاهرة التصوير، و التكرار و الإيجاز و الإطناب. و دراسة الوحدة الموضوعية، و دراسة الأساليب البلاغية وغيرها...

كما حاولت قدر المستطاع دراسة الآيات مراعية ترتيب سورها في المصحف الكريم، و معتمدة على قراءة ورش عن نافع. كما اعتمدت في الدراسة على الجداول و الرسم البياني و المخططات بغية الإيجاز لتوضيح الأفكار و اعتبارها جزءا هاما من الخلاصات.

الهدف من الدراسة :

أما الهدف من الدراسة، فيمكن إجماله فيما يلي :

1- جمع هذه الآيات من المصحف الكريم، لاستخراج موضوعاتها المتنوعة؛ لمعرفة صورة الإنسان في ظلها.

2- الوقوف على الجماليات الفنية لهذه الآيات، على اعتبار بأن المتذوق الفني لها يختلف أسلوب دراستها و أهدافها عن أسلوب و أهداف كتب العقيدة، التي تهدف إلى الترغيب و الترهيب ليتعظ الناس. و يكون بذلك من المستحسن الأكيد لو يحدد و يكشف بهذا البحث بعض الصور و الأساليب الفنية لهذا الترغيب و الترهيب، الذي هو غاية القرآن الكريم، علاوة على هذا، لعل و عسى باستطاعتنا الوقوف على بعض أسرار الإعجاز لهذا الكتاب الرباني في مجال الغيب.

3- إضافة دراسة جديدة بمنهجية خاصة للمكتبة الإسلامية، بالاعتماد على كتاب " التصوير الفني في القرآن"، و بعض الدراسات القرآنية.

4- التدعيم العلمي لما توصل إليه العلماء في مجال الدراسات القرآنية. إذ عثرنا على مجموعة من الدراسات، كشفنا عنها في قائمة مصادر و مراجع هذه الدراسة.

الكتب المعتمد عليها في إنجاز الدراسة :

1- **التفاسير القرآنية** : للاحتراز من الوقوع في التفاسير الذاتية للآية القرآنية. و من بين التفاسير المعتمد عليها بتركيز شديد، " تفسير التحرير و التنوير" للطاهر ابن عاشور؛ لاعتماد المفسر على التفسير اللغوي للألفاظ، و لأن الانطلاقة الأولى في هذه الدراسة هو معرفة ما ترمي إليه الكلمات من معان، لتيسير صعوبات فهم مضامين الآي القرآنية.

2- **كتب المعاجم** : للاستعانة على التفسير اللغوي للألفاظ القرآنية، حتى يسهل التعامل مع الآيات القرآنية.

3- **كتب البلاغة** : للوقوف على بعض الأسرار البلاغية الفنية في هذه الآيات الخاصة.

4- **كتب علم النفس** : للمقارنة – في حدود الدراسة – بين الدراسات الإنسانية، و بين العلم الإلهي بالنفس البشرية في الآخرة.

5- **الدراسات القرآنية** : للعمل ببعض ما توصل إليه العلماء من دراسات، للوقوف إلى حد ما على بعض من أسرار الإعجاز الفني في هذه الآيات المختارة.

خطة البحث :

قسمت هذا البحث كما يلي :

1- **التوطئة** : خصصتها للحديث عن الصورة و التصوير و الخيال و التخييل لغة و اصطلاحا. و عن أثرها و قيمتها في التأثير و التأثر.

2- **الفصل الأول : التصوير الفني في آيات العذاب و النّعيم.**

و قد قسمته إلى مبحثين رئيسيين :

- **المبحث الأول** : سمات التصوير باللفظ القرآني.

قمت فيه بدراسة اللفظة القرآنية مستخلصة بعض فنياتها و دورها في التصوير الفنّي.

- **المبحث الثاني** : سمات التصوير بالعبارة القرآنية.

خصصته لدراسة العبارة القرآنية مستخلصة بعضا من سماتها الفنّية و مبرزة دورها في التصوير الفني.

3- **الفصل الثاني : الحوار في آيات العذاب و النّعيم بين الوحدة الموضوعية و التصوير النفسي.**

قمت فيه برصد أهم الحوارات القرآنية في آيات العذاب و النّعيم، و ذلك في إطار الوحدة الموضوعية الجامعة بينها، مبينة العلاقة الوطيدة بينها و بين التصوير النفسي.

4- **الفصل الثالث : الأساليب التصويرية في حوارات آيات العذاب و النّعيم.**

خصصته لدراسة أهم الأساليب البلاغية البارزة؛ للإجابة عن هذا السؤال : هل الأساليب البلاغية أساليب تصويرية؟

5- **الفصل الرابع : القوالب التصويرية في آيات العذاب و النّعيم.**

إذ لفت انتباهي مجيء بعض النصوص القرآنية في قوالب فنية كالمسرح و القصة و الخطابة. مما دفعني إلى التأمل و الدراسة لتوضيح هذا.

6- **الخاتمة** : خصصتها لأهم الملاحظات المستخلصة من فصول الدراسة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و في الأخير أكرر شكري للمرة الثانية لأستاذي المشرف الدكتور " عمر بوقرورة " على التوجيهات و النصائح التي قدمها لي حتى خرجت هذه الرسالة إلى الوجود. و لاستقباله لي في بيته طيلة سنوات إعدادها. و زوجي الكريم سليم الذي تحمل معي مشقة التصحيح و المراجعة بعد عناء العمل. و لأخي عبدالوهاب الذي قام بتنظيمها و إخراجها في هذا الشكل. و لابنة أختي وداد التي تحملت معي مشقة السهر أثناء مراجعتها و تنظيمها. و لجامعتي التي منحت لي فرصة المشاركة في مسابقة الدراسات العليا حتى توصلت إلى نعمة الدراسات القرآنية. لهؤلاء جميعا أكرر شكري آلاف المرات.

و أسأل الله عز و جل أن تكون هذه الرسالة المتواضعة علمية المنهج و الأهداف، نافعة لكل باحث في الدراسات القرآنية. و مساهمة فعالة لفهم كتاب الله عز و جل. فإن أصبت فمنه سبحانه تعالى و إن أخطأت فمن نفسي و من الشيطان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التوطئة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التـــوطئـــــة :

يرى سيد قطب << التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني، و الحالة النفسية، و عن الحادث المحسوس، و المشهد المنظور، و عن النموذج الإنساني و الطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، و إذا النموذج الإنساني شاخص حي، و إذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث و المشاهد، و القصص و المناظر، فيردها شاخصة حاضرة؛ فيها الحياة، و فيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل. فما يكاد يبدأ العرض الأول، الذي وقعت أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، و تتجدد الحركات، و ينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، و مثل يضرب، و يتخيل أنه منظر يعرض، و حادث يقع، فهذه شخوص تروح على المسرح و تغدو؛ و هذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الحوادث، و هذه كلمات تتحرك بها الألسنة، فتنم عن الأحاسيس المضمرة.

إنها الحياة هنا، و ليست حكاية الحياة>>[1]

يتضح من هذه المقدمة الهامة جملة من الأمور :

1- الصورة أداة للتعبير عن :

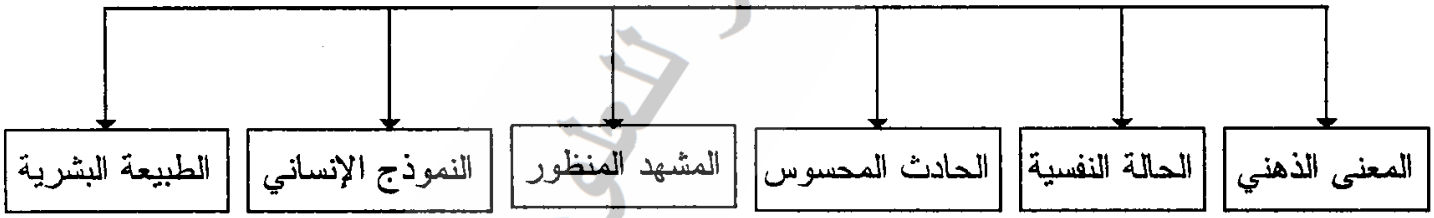

2- التصوير يرتقي بالصورة فيمنحها :

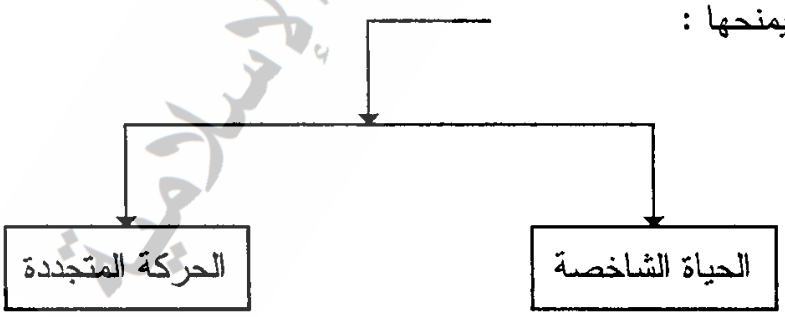

1- التصوير الفني في القرآن/سيد قطب/دار الشروق : القاهرة/ط 1408/10هـ -1988م/ص36.

3- و من خلال الارتقاء بها يصبح :

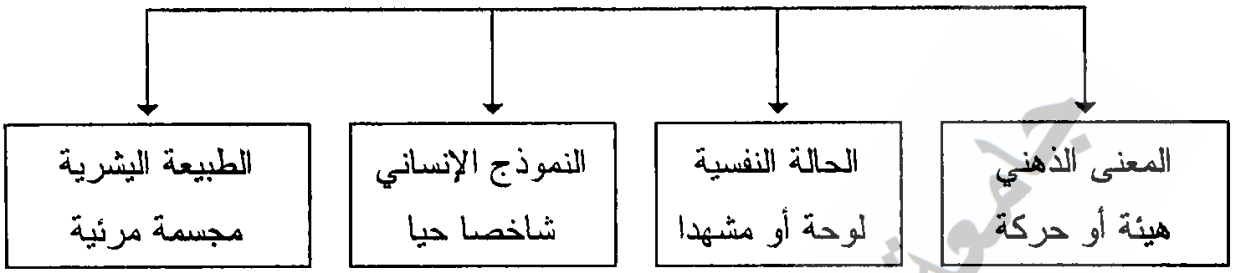

4- أما بالنسبة للحوادث و المشاهد و المناظر فالتصوير يردها :

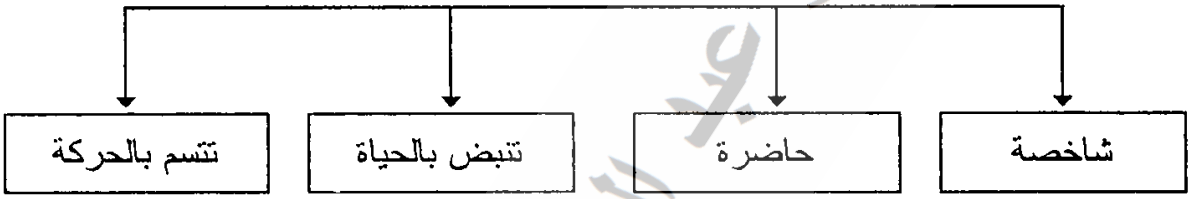

و قد حدد نقطة البداية، باعتباره الصورة في القرآن هي ألفاظ جامدة، إذ قال :<< **فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصوّر المعنى الذهني و الحالة النفسية، و تشخص النموذج الإنساني أو الحادث المروي، إنما هي ألفاظ جامدة، لا ألوان تصوّر، و لا شخوص تعبر، أدركنا بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من تعبير القرآن**>>[1].

وبالرجوع إلى المقدمة نجد "سيد قطب" قد ركز على أمر هام، و هو أنّ التعبير في القرآن الكريم يتم عن طريق الصورة المحسّة المتخيلة. و الصورة – بعيدا عن المفهوم الأدبي و البلاغي لها – << ...**ترد في كلام العرب على ظاهرها** ...>>[2]. و قد جاء في "لسان العرب" أيضا << **تصورت الشيئ : توهمت صورته فتصوّر لي. يقال : صورة الفعل كذا و كذا أي هيئته، و صورة الأمر كذا و كذا أي صفته**>>[3].

أما عن كلمة تصوير، فقد أوردت بالمعنى الحقيقي لها – في اللسان أيضا – << **والدليل على صحة ما قالوا أن الله تعالى ذكر تصويره الخلق في الأرحام قبل نفخ الروح، و كانوا قبل أن صورهم نطفا، ثم علقا ... ثم صورهم تصويرا ... و من ادعى أنه يصورهم ثم ينفخ فيهم فعليه البيان**>>[4].

1- التصوير الفني في القرآن/ص36.

2- لسان العرب/ابن منظور/حققه : عبدالله علي كبير- محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي/دار المعارف: مصر/دط/دت/ج4/ص2523/مادة : صوّر.

3- المصدر نفسه/ص ن.

4- المصدر نفسه/ص2525/مادة : صوّر.

و الصورة بمعناها الفني << **حديثة النشأة، جديدة المفهوم في النقد الحديث، حتى أنّ المعاجم العربية، و مثلها الموسوعات العربية أيضاً، لا تكاد تذكر عنها شيئا يشفي الغليل، أو يغني الجائع**>>[1] . و يقول "عبدالمالك مرتاض" بنسبة الحديث عن الصورة للنقاد الغربيين، الذين حددوا معناها و مفهومها : << **و قد أكثر النقاد الغربيون حولها الحديث، و ساقوا التعريفات المتشابهة طورا و المتعارضة طورا آخر. و قد اتفقت في سياقها العام على أن الصورة ليست تشبيها و ما ينبغي لها، و أنما هي شيئ يجنح نحو تقريب حقيقتين متباعدتين...**>>[2].

و تبعا لهذا التعريف، فالصورة في الاصطلاح الحديث هي << **تجسيم لمنظر حسّي، أو مشهد خيالي يتخذ اللفظ أداة له** >>[3]. أو هي<< **ما ينقل عقدة فكرية أو عاطفية في لحظة زمنية** >>[4].

و إذا كانت الصورة حديثة النشأة في عالم النقد و البلاغة والأدب، فالتصوير هو كذلك حديث << **في عالم البلاغة و النقد، و قد كان الدارسون في السابق يستعملون لفظ الاستعارة أو التشبيه للدلالة على بعض ما تدل عليه كلمة التصوير الآن** >>[5].

و إذا كان التصوير في القرآن الكريم هو الطريقة المفضلة في أسلوبه، و كان السبيل إليه التعبير بالصورة المحسّة المتخيلة، على اعتبار أن <<التخييل الحسّي **هو القاعدة الأولى التي يقوم عليها التصوير الفنّي، و هو الخصيصة الأولى من خصائصه الواضحة**، و السمة الأولى **من سماته الظاهرة**>>[6]. فالمعنىاللغوي لكلمة تخييل هو<< **مصدر من قولك تخيلت الأمر إذا ظننته على خلاف ما هو عليه، أو من قولك خيلت فيك خيرا، إذا ظننته فيه، فهو مصدر لهذين الفعلين كما ترى**>>[7]. و إذا كان هذا المعنى اللغوي لا يفيدنا في كثير، فالمعنى الذي يهمنا أكثر<< **هو تصوير حقيقة الشيئ حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد، و أنّه ممّا يظهر في العيان**>>[8].

1- بنية الخطاب الشعري – دراسة تشريحية لقصيدة "أشجان يمانية"-/عبدالمالك مرتاض/ديوان المطبوعات الجامعية : الجزائر/دط/دت/ص49.

2- المرجع نفسه /ص ن.

3- أساليب الإقناع في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لسورة الفرقان/ابن عيسى عبدالقادر بطاهر/مخطوط رسالة ماجيستير/كلية الدراسات العليا/كلية الآداب: قسم اللغة العربية و آدابها/الجامعة الأردنية: الأردن/1990م/ ص36.

4- النقد الأدبي الحديث/محمد غنيمي هلال/دار العودة: بيروت/دط/دت/ص3.

5- أساليب الإقناع في القرآن الكريم/ص36.

6- نظرية التصوير الفنّي عند سيد قطب/صلاح عبدالفتاح الخالدي/شركة الشهاب : الجزائر/دط/دت/ص131.

7- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز/يحي بن حمزة العلوي/أشرفت على مراجعته و ضبطه و تدقيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر/ج3/ص3.

8- المصدر نفسه/ص ن.

و ممّا لا شك فيه أن للتخييل علاقة وطيدة بالخيال. فإذا كان الخيال في حقيقته اللغوية << **خشبة توضع عليها ثياب سود تنصب للطير و البهائم فتظنه إنسانا فتبعد عنه و تهابه...**>>[1]. فهو في وظيفته الأدبية و الفنية << **الفضاء الذي ينتقل الفكر خلاله بحرية واسعة، ليلتقط أطراف ما يبتكره من صور، فيضم متناثرها، و يعمل فيها يده الفنية حتى تعود خلقا جديدا**>>[2]. أو بمعنى آخر هو << **اللغة التصويرية للفكر**>>[3].

و الذي يجب أن ننوه إليه أن قيمة الخيال أو التخييل – كما نرى – لآيات العذاب و النّعيم في القرآن الكريم لا تكمن إطلاقا في ابتعاث الحياة من جديد في صورها و مشاهدها، مثل ابتعاث القصة على أساس أنها جزء من الماضي. إن هذه الآيات لن يعمل فيها الخيال يده الفنية ليعيدها من جديد؛ لأنها لم تولد بعد، فزمانها ليس الماضي و لا الحاضر، إن زمانها هو المستقبل الذي يرتبط بالغيب ارتباطا وثيقا. و على هذا، فنكهة التخييل في هذه الآي، تكمن في مدى قدرته على << **إبراز العاطفة و إثارتها في النفوس، إذ يقلب المجردات إلى مرئيات**، و الصورة أشد العناصر المحسوسة تأثيرا في النفس، و أقدرها على تثبيت الفكرة و الإحساس فيها، فالصورة هي الوجه المرئي أو المحسوس للخيال، تستثير عواطف النفس و تحركها من مكامنها، و ابتعاث العاطفة كان الغاية**>>[4]. و لعل أهم شيء نريد الوقوف عليه << **أن الوحدة التي تسيطر على العمل الخيالي تعني التوافق التام بين القلب و العقل، بين الملاحظة الصادقة و الملكة المتخيلة، بين المحسوس و غير المحسوس، فالعناصر العاطفية و العقلية جزء من خبرة كلية تامة لبابها الأوحد الإدراك الخيالي**>>[5]. و غايتها الوقوف على المتعة الجمالية.

1- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز/يحي بن حمزة العلوي/ص3.

2- الصورة بين البلاغة و النقد/أحمد بسام ساعي/المنارة : دمشق/ط1/1404هـ - 1984م/ص17.

3- المرجع نفسه/ص30.

4-المرجع نفسه/ص28.

5- الصورة الأدبية/مصطفى ناصف/دار الأندلس : بيروت/دط/دت/ص16.

الفصل الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

التصوير الفنّي في آيات العذاب و النّعيم.

المبحث الأول :

سمات التصوير باللفظ القرآني.

المبحث الثاني :

سمات التصوير بالعبارة القرآنية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اختار القرآن الكريم للتعبير عن أمور الغيب أسلوب التصوير الذي يخرج العذاب و النّعيم من مجرد الدلالة الذهنية إلى الدلالة الحسية و الدلالة المعنوية. و لعل السؤال المطروح هو :

- هل يمكن للفظ القيام بدوره في التصوير دون مراعاة العبارة التي يوجد فيها ؟على أساس استقلالية بعض الألفاظ بالتصوير ؟ و هل الصورة القرانية هي مجرد لفظة أو هي عبارة عن جملة مؤلفة من كلمات تعمل معا على إثارة الصورة في الخيال ؟

و عليه فما هي السمات الفنية للتصوير باللفظ ؟ و ماهي السمات الفنية للتصوير بالعبارة ؟

لقد حوت آيات العذاب و النّعيم في القرآن الكريم مشاهد تصويرية ، متسقة مع نوعي الجزاء. هذه المشاهد نجملها في نوعين من التصوير، و هما :

أ- **التصوير باللفظ** : الذي يتشكل ضمن العناصر الآتية :

1- التصوير الحسّي للنار .
2- التصوير الحسّي لأهل النار .
3- التصوير النفسي لأهل النار .
4- التصوير الحسّي للجنّة .
5- التصوير الحسّي لأهل الجنّة .
6- التصوير النفسي لأهل الجنّة .

ب- **التصوير بالعبارة** : الذي نعني به ذلك المتعلق بالآية القرآنية في إطارها الشامل أو الكلي المركب ، الذي يعني الآيات في إطار الجملة المفصلة، المشكلة في ظل مجموعة من العناصر التصويرية. و في التصوير بالعبارة نقف عند جملة من العناصر :

1- التصوير بالتكرار.
2- التصوير بالإيجاز.
3- التصوير بالإطناب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :

سمات التصويـــــر باللفـــــظ القرآني :

1- التصوير الحسّي للنار :

للتصوير باللفظ سمات فنية كثيرة في آيات العذاب الأخروي، حيث توعد الله عز و جل أهل الكفر نارا مهولة، في نصوص قرآنية كثيرة، مجازاة لهم عن سوء أفعالهم في الدنيا. ففي قوله عز و جل :

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلكَافِرِينَ﴾ البقرة :24.

كان للتصوير باللفظ في هذه الآية القرآنية سمات فنية و تعبيرية جلية، ساهمت في تجلية و تقرير حقيقة أخروية واقعة. حيث أدت كلمة (وَقُودُها) دورا هاما، إذ بنيت أجزاء الصورة بوجودها في الآية. وللوقود في اللغة العربية معنى مألوف، مستمد من البيئة ، فيقال : << **وقدت النار تقد وقودا و وقدا، و الوقود يقال للحطب المجعول للوقود و لما حصل من اللهب** >>[1]. و إذا كان الحطب هو المادة الأولية لهذه النار في المألوف المتعارف عليه، فالإخبار القرآني أو الوعيد القرآني يقر بحقيقة واقعة، إذ تتغير طبيعة الأشياء تغيرا مفزعا و مهولا، فلكي تشتعل النار لابد لها من وقود، من نوع يتناسب و المجازاة الحسية << **فالآن ينص على أن وقودها من الحجارة أيضا. وإن الناس يسوون بالحجارة في هذا الوقود ! فليس من الضرورة أن تكون تلك الحجارة معبودات، إنما هي تلتهم كل شئ، و الناس فيها و الحجارة سواء. و في هذا من التحقير لأصحابها ما فيه، فهم حجارة تسد مسد الحجارة** >>[2]، أو بتعبير آخر يجتمع الناس و الحجارة في هذا التصوير القرآني المبدع ليكونا الوقود الأصلي لهذه النار المفزعة، و من هنا فقد عملت الألفاظ (وَقُودُهَا/النَّاسُ/الحِجَارَةُ) على إخراج صورة حسية مادية ومركبة، وتقريبها و تثبيتـــها في المخيلة بوضوح، و بذلك كان لها دور كبير في إثارة الفزع داخل النفس، وهذا من المقاصد الرئيسية للتعبير بالتصوير في آيات العذاب في القرآن الكريم.

و في قوله عز و جل :

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ الحجر:43-44.

يؤكد عز و جل وعيده مرة أخرى ، بجعل جهنم المكان الذي يلتقي فيه أهل الكفر جميعا، فهذه هي لها سبعة أبواب؛ و قد قسمت أبوابها إلى سبعة، لاختصاص كل باب بفريق، فأهل العذاب لا يدخلون من باب واحد، لأن (لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) الحجر :44. و عليه إذا ماأخذنا بالاحتمال القريب فهذه الأبواب يتضاعف عددها من سبعة إلى أربعة عشر بابا، زيادة على ما يوحيه العدد و المعدود باتساع جهنم، وبالتالي

1- المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهاني / تحقيق و ضبط : محمد سيد كيلاني / دار المعرفة : بيروت /دط/دت/ص529/ كتاب الواو / مادة : وقد.

2-مشاهد القيامة في القرآن /سيد قطب / دار الشروق : بيروت / ط7 / 1403 هـ 1983 م /ص 234.

يوحيان بضخامة الهول. فهذا التصوير القرآني بهذا التركيب اللفظي البسيط يتحدى الخيال البشري أيما تحدٍ؛ فالحقيقة أكبر مما يتصورها، فمثل هذا التقسيم و إن بدا واضحا جليا يجعل المتأمل عاجزا عن إدراك الصورة إدراكا تاما محددا؛ لأن هذا التقسيم لا يعلمه إلا الله عز و جل. و من هذا التحليل يبدو الإعجاز البياني القرآني ساطعا يفوق كل القدرات الفنية البشرية، فمع البساطة في التركيب ، تبدو الصعوبة في إدراك الصور و المشاهد في آيات العذاب.

و للعذاب الحسّي في الآية الموالية صورة مدهشة أيضا. قال عز و جل :

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ الاسراء: 08.

تفيد كلمة (حَصِيرًا) في اللغة العربية معنيين اثنيين ، المعنى الأول : الحصير هو << **السجن أو المحبس** >>[1]. أما المعنى الثاني فهو << **البساط الصغير** >> [2] . و من هذا المعنى يجوز << **أن تكون جهنّم لهم مهاد بمنزلة الحصير** >> [3]. و تكون بالمعنى الأول << **حاصرة لهم محيطة بهم من جميع جهاتهم فحصير معناه ذات حصر** >>[4]. و من هذا التفسير تتجلى القيمة الفنية و التعبيرية لكلمة (حَصِيرًا) في استقلالها بالتصوير في هذه الآية الكريمة، فجهنّم بالتفسير الأول هي محبس، فأشد مايلاقيه الجسد المعذب و النفس أن يحبسا و يحاصرا، و يُضيق عليهما بالإحاطة التامة، خاصة وهذا المحبس من نار .أما بالتفسير الثاني فأشد ما تلاقيه الذات أن تفترش مهادا من نار، يقلقها و ينغص عليها، و من هنا تعد (حَصِيرًا) صورة جديدة ضمن مجموعة من المشاهد الخاصة بتصوير العذاب.

و من هذا المنطلق ، فالتأمل في هذه التراكيب الجملية ، تجعلنا نلمس أهم ميزة فيها؛ و المتمثلة في ألفاظها الزاخرة بفنيات الإثارة، فهي صورة خالية من كل العلاقات المجازية؛ من تشبيه و استعارة، لكنها تثير في النفس ما تشاء من الإيحاءات الوجدانية المتنوعة. فمن << **الخصائص الإقناعية للتصوير القرآني اختيار الكلمات التصويرية المعبرة، فهو يستخدم ألفاظا معروفة عند البشر، و لكن هذه الألفاظ تبقى ألفاظا جامدة في الاستعمال البشري، تدل على معانيها دلالة ذهنية عقلية، أما عندما تتناولها الريشة القرآنية المعجزة، فسرعان ما تدب فيها الحياة الشاخصة، و الحركة المتجددة، و تتحول إلى ألفاظ و تعبيرات ذات أرواح** >> [5].

1- تفسير النهر الماد من البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي / تقديم و ضبط بوران و هديان الضناوي / مؤسسة الكتب الثقافية – دار الجنان : بيروت / ط1/1407 هـ – 1987 م/ق1/ج2/ص284 .

2- مجاز القرآن / أبو عبيد ة معمرابن التيمي / تعليق : محمد فؤاد سزكين / مكتبة الخانجي : مصر /دط/1988/ج1/ص97 .

3- المصدر نفسه/ص ن.

4- تفسير النهر الماد / أبو حيان الأندلسي / ج2/ ص 284 .

5- أساليب الإقناع في القرآن الكريم–دراسة تطبيقية لسورة الفرقان–/ مخطوط رسالة ماجيستير/ ابن عبد القادر بطاهر/ ص 40–41.

لقد ألفت هذه التراكيب أو هذه الآي القرآنية بألفاظها المختارة أعجب الصور ذات الصدق الواقع من حيث التصوير الحسي لبيئة العذاب ، وذات صدق فنّي من حيث التأثير في نفس المتلقي و المتأمل. حتى صارت << **بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة** >>[1]. على اعتبار أن << **نظم القرآن مادة فوق الصنعة** >>[2]. فهو يساهم مساهمة فعالة في سبك هذه **الألفاظ في صورة فنية مبدعة**، لكل صورة ظلالها و ألونها. و قد كان أعلى درجة من التصوير القرآني لجهنم هذا الوصف << **الذي يختار لك من هذه الأجزاء أبرزها و أقواها و أدلها عليه ، ثم يؤلف بينها بحيث تبرز لك من هذه الأجزاء صورة كاملة** >>[3]. و هذه **الألفاظ** كذلك ألفاظ مألوفة مستعملة في دنيا الناس، لكنها في التعبير القرآني تعرض صورا، فقد ساهمت **جميعا في** تصوير النار تصويرا حسّيا دقيقا فهي بذلك ألفاظ حسّية لكن لها دلالات معنوية أيضا؛ فلفظة (حَصِيرًا) كمثال << **شديدة الإيحاء عميقة الأثر و أن قوتها ليست راجعة إلى ماترسمه ... من صور...حسية ، بل إلى مالها... من ارتباطات وجدانية** >>[4]، فهي و جاراتها ترينا في << **الشئ شيئا آخر، فيبرز من الأول معنى كان خافيا ... هو تأليف و اختراع في المعاني، و المشاعر** >>[5].

1- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي / دار الكتاب العربي : بيروت / دط/دت/ ص226 .

2- المرجع نفسه / ص ن .

3- يوم الدين و الحساب / شكري محمد عياد / دار الوحدة : بيروت / ط1/1980م / ص 88 .

4- المرجع نفسه / ص 81 .

5- المرجع نفسه / ص 82.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- التصوير الحسّي لأهل النّار :

لا يتوقف الترهيب القرآني عند التصوير الحسّي للنّار، إذ يمتد شريط التصوير القرآني ليجلي للنظارة مشاهد مفزعة أخرى من مشاهد العذاب الأخروي. و لذا فقد ضم الكتاب الحكيم بين دفتيه مجموعة كثيرة من النصوص التي تبرز العذاب الحسّي لأهل النّار في مستقرهم الأخير. و من الآيات المعبرة عن ذلك ماجاء في قوله عز و جل :

﴿ يَاأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الاحْبَارِ وَ الرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَ الذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَايُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ اليِمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَاكُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ التوبة :34-35.

ففي الآية الأولى توعد الله عز و جل (الذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ) و يبخلون بإنفاقها عذابا شديدا؛ إذ يصور المشهد حركات متوالية و متناسبة معا، هي في حد ذاتها صور للعذاب الجسدي و مفاجأة أخروية، لم يحسبوا حسابها في الدنيا؛ هاتان الذهب و الفضة يصبحان من ألد الأعداء؛ حيث يساهمان في التعذيب الجسدي الأليم مساهمة فعالة؛ فبعد ما يكتسبان حرارة فظيعة، تبدأ عملية الكي بهما؛ فيبدأ بكي الجباه المتكبرة، حتى إذا ماترك العذاب فيها أثره، كان الكي على الجنوب ثم الظهور. و هذه العمليات عسيرة و يسيرة في آن واحد؛ عسيرة على كانزي الذهب و الفضة، و يسيرة على الله عز و جل. فما يلاحظ في هذا التصوير القرآني أن لفظتي (يُحْمَى) و (يُكْوَى) فعلان مضارعان مبنيان للمجهول، قد جاءا معطوفين بالفاء، إذ يحدثان في زمن بالتوالي.

علاوة على هذا، فمن الفنّيات الجمالية لألفاظ النص البسيطة و الفصيحة - في آن و احد - حسن توزيعها على رقعة المشهد دونما تزاحم، إذ تصور الجمل الحركات الفعلية، حركة بعد أخرى، عن طريق العطف بينها. ولعل أجمل ما في التصوير أن تتمثل وحدة الصورة في وحدة آلة العذاب؛ إذ تحدد الوسيلة الوحيدةبالذهب و الفضة، ليزيدا من اتساع صورة تراجيديا الذات المعذبة !

إضافة إلى هذا، تختلف درجات العذاب من نص قرآني إلى نص قرآني آخر، و من مشهد إلى مشهد، و من صورة إلى صورة، ففي قوله عز و جل :

﴿ وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الاصْفَادِ ۞ سَرَابِيلُهُم مِّنْ قَطِرَانٍ وَ تَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ۞ لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ انَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ إبراهيم : 49-51.

تثير الألفاظ القرآنية في هذه التراكيب الجملية المتعددة صورا حسّية عن عذاب أهل النار، إذ يعتبر هذا النص القرآني مشهدا آخر من مشاهد العذاب الأخروي، و مهانة مفاجئة و مرعبة، بدايتها من هذه الصورة (وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) إبراهيم: 50. و << **التقرين : وضع اثنين في قرن أي حبل** >>[1]، أو بمعنى آخر فقرن من << **الاقتران كالأزواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني ... يقال قرنت البعير بالبعير جمعت بينهما، ويسمى الحبل الذي يشد به قرنا و قرينة على التكثير... و القرن القوم المقترنون في زمن واحد...** >>[2]. و من هذا التعريف اللغوي تدل كلمة (مُقَرَّنِينَ) على اجتماع المجرمين في وقت واحد. وبهذا تحدد زمكانية الحدث أو وحدة زمان و مكان الحدث -العذاب - . وقد أفاد اللفظ دلالة حسية تتمثل في الجمع بين شخصين من أهل النار في هيئة واحدة بواسطة التقرين بينهما بالأصفاد و هي الأغلال. أو بمعنى آخر يصفدون بأغلال اثنين اثنين إلى أن ينتهي عددهم و بهذا تكون هذه الحركة ظاهرة للعيان ، قريبة للخيال، زيادة على ما توحيه بالمهانة التي يلاقيها أهل العذاب جزاء وفاقا.

و يبرز كذلك التعبير القرآني بألفاظه الجانب الآخر من العذاب الحسّي، في هذه الجملة القرآنية (سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ) إبراهيم :50 .إذ تفصل قمصانا من قطران لتدل على فظاعة العذاب الحسي. و القطران في هذا النظم القرآني اكتسب بعدا جديدا؛ إذ يعد مادة صناعية للسرابيل . لايعلم تركيباتها إلا الله عز و جل. ثم أن السر من جعل السرابيل من قطران لأنه << **شديد الحرارة فيؤلم الجلد الواقع هو عليه** >>[3].

و تكمل العبارة القرآنية (وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ) إبراهيم 50. تجلية العذاب لتدل على أن حق الدفاع عن الجسم المتلظى غير ممكن في هذا المشهد الجزائي؛ فالتقييد المحكم و ارتداء السرابيل المحرقة الملتصقة بالأجساد ، يمنعان منعا باتا من التملص من النار التي تغشى الوجوه ، و اختيار التعبير عن الوجه بالذات باعتباره << **أشد الأعضاء تألما من حر النّار** >>[4]. و للفعل (تَغْشَى) في هذه الجملة مكانة هامة و رئيسية أيضا ؛فهو الفعل المصور للحركة ، حركة النار التي تعتبر هي كذلك من أشد الحركات في هذا المشهد المركب، و بهذه الحركة يتجلى العجز عن الدفاع عن الجسد أو الذات المعذبة، إذ لاتستطيع مرة أخرى أن تدافع عن حقها من الذلة الواقعة بها.

1- تفسير التحرير و التنوير / محمد الطاهر ابن عاشور / الدار التونسية : تونس - المؤسسة الوطنية للكتاب : الجزائر / دط/1984/مج(13-15)ج13/ص253 .

2-المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهاني / ص 401/كتاب الحاء/مادة : قرن .

3- تفسير التحرير و التنوير /ج13/ص253 .

4- المصدر نفسه /ج 15 / ص 309 .

و في قوله عز و جل :

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۞ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

الحج : 19-22.

يعد لأهل النّار لون آخر من ألوان العذاب الحسّي؛ إذ تخصص لهم ثياب من نّار، حيث تفيد كلمة (قُطِّعَتْ) المبنية للمجهول مبالغة في التقطيع. علاوة على هذا تعبر هذه الكلمة داخل السياق عن عملية مفزعة، و حركة غير مألوفة و لاعادية؛ فهي جديدة على الخيال البشري! فهنا يتوقف التصوير و يتجلى في الوقت ذاته؛ يتوقف عند الجار و المجرور (مِن نَّارٍ)، و يتجلى في عرض صورة حسّية تخييلية بالغة الإثارة؛ فهؤلاء أهل النار في صورة عجيبة غير مألوفة و جديدة ، يرتدون ثيابا من نّار، تقطع بفعل فاعل غير ظاهر، لكي تقوم بالعملية الأولى من عمليات العذاب الحسّي!

و للعملية الثانية تأثير آخر؛ إذ تزيد من اتساع المشهد، الذي لا ينتهي بالتقطيع، بل يضاف له صورة جديدة أخرى، و هي (يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) الحج:19. التي تفيد ألفاظها بالتركيب معنى واضحا و صورة معبرة عن حال الذين كفروا، حيث يصب الماء الحميم، الشديد الحرارة، و الذي لايطاق فوق الرؤوس مباشرة. وذلك بفعل فاعل لا نعلمه أيضا – ربما هو الفاعل السابق ذاته – و على هذا الأساس، ففي حذف الفاعل في كل هذه الحركات المتتابعة و القاسية ما يثير في النفس الرهبة.

ولصب الماء الحميم فوق الرؤوس مباشرة تأثير خاص يتمثل في امتداد العذاب الحسّي إلى داخل الأجسام المعذبة، إذ (يُصْهَرُ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ) الحج :20. فهذا الماء يخترق الجمجمة إلى أبعد حد ليصل إلى ما في البطون! لتحدث عملية أخرى تتجلى في اكتساب الماء لصفة الصهر، و عليه فالذي تتركه كلمة (يُصْهَرُ) الدالة على الحال الواقعة في المخيلة الإنسانية، إنها تعمل على إبراز صورة جديدة؛ فهذه الأجسام تصبح بعملية الصهر خاوية، حيث يحدث تغيير عجيب و فريد من نوعه؛ بإذابة الأحشاء الداخلية كما يذاب النحاس أو الشحم، و بهذا التعبير القرآني تنقل دلالة الصهر من النار و الشمس إلى الماء، لاكتسابه عن طريق التصوير فاعلية جديدة و مؤلمة في آن واحد.

و تتواصل عمليات التعذيب، بكل مالها من قدرة على الإيلام في هذا المشهد ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ الحج :21-22. هذا المشهد المركب من عدة صور هو تقرير آخر عن حال أهل النّار؛ فالصورة الأولى تعبر عن حقيقة قاسية و فعل أكبر مما يتصوره ذو خيال رحب، إذ يخصص لأهل النّار الكافرين وسيلة ضخمة من وسائل العذاب؛ و هي مقامع من حديد، و المقامع<< **جمع مقمعة – بكسر الميم – ... و المقمعة : السوط، أي يضربون بسياط من حديد** >>[1].و لقد جاء ذكر المقامع هنا متناسبا مع الحركة الموالية؛ و هي حركة توحي بالعذابين معا؛ الحسّي و المعنوي؛ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، فبواسطة هذه السياط الحديدية يعاد أهل النار لما كانوا عليه، دلالة على استمرارية العذاب و تجدده، فكلما أرادوا أو حدثتهم أنفسهم بالتملص من العذاب أعيدوا في النّار.

و خلاصة القول :

يعتبر هذا المشهد القرآني التصويري من بين المشاهد القرآنية إيلاما للنفس في آيات العذاب! فإذا كان التعبير عن العذاب الأخروي بهذا المشهد المتكامل يثير الرعب في النفس عن طريق الخيال، فكيف تراها و هي في أتونه؟ ! تذوق من آلام هذه النار المنتشرة ؟! فعلا، إنه تصوير دقيق، يرصد للنظارة كل الحركات الفعلية ﴿قُطِّعَتْ/يُصَبُّ/يُصْهَرُ...﴾. و باختصار، فهو مشهد للجزاء الذي وعد به أهل النّار في الدنيا.

و من الميزات الجامعة بين هذه الآيات، الوحدة في تصوير العذاب الحسّي الواقع على الجسم مباشرة؛ حيث حددت الجوانب الحسّية التي يصل إليها العذاب بالإحراق. و بهذا قدمت صورة دقيقة عن عمليات التعذيب الأخروي الفظيع. علاوة على هذا، فقد حدد النّصان الأخيران مادة صنع هذه الثياب، و هي كلها تفيد و تساهم في عملية الإحراق و المبالغة في التعذيب، لأنها بكل صدق من أهم الوسائل المخصصة لهذه العملية المروعة!

و من خلال هذه الدراسة وقفنا على مجموعة من الموضوعات البلاغية منها :

1 – التقديم و التأخير :

ليس الغرض من الحديث عن التقديم و التأخير من باب تقديم ما حقه التأخير، بل للوقوف على سر من أسرار النظم التصويري في آيات العذاب هاته. فالمتأمل في هذه الآيات يستطيع أن يسأل لماذا قدمت جملة على جملة، أو لفظة على لفظة ؟.

1–تفسير التحرير و التنوير / مج (16–17) ج 17 / ص 230 .

فبالإضافة إلى ماتحققه هذه الجمل من تناسب الفواصل، فلها أهداف بلاغية أخرى؛ تتمثل في هذا التقديم ليس بنية التأخير، أو تبادل موضعي بين الكلمات والجمل. إنه رصد لصدارة الألفاظ و الجمل، فالمقدم في هذه الآيات يحتل مركزا ممتازا << **فهو أول ما تقع عليه العين، و أول ما تتأثر به، و أول ماتقع النفس تحت أضوائه، لأنه يستحق هذا ...** >>[1]. و هذا ما ينطبق على الألفاظ و الجمل التي احتلت الصدارة في هذا التصوير الفني. زيادة على هذا، فمن أهداف التقديم و التأخير << **التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة** >>[2]. و قد لمسنا هذا في تقديم و عرض الحال الأولى من حالات أهل النار، إذ قدمت (مقرنين في الأصفاد) إبراهيم 49، على (سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ) إبراهيم 50. فالجملة الأولى تشعر بغرابة من خلال التعجيب بهؤلاء المعذبين! و تدفع المتأمل إلى الفضول لمعرفة تفاصيل أخرى في الجمل الموالية، هاته الجمل التي توحي بدلالات أخر، و تعرض صورا جديدة، تكمل المشهد العام من مشاهد العذاب الحسّي المتجدد!

– قدم الجار و المجرور (لَهُمْ) في قوله عز وجل :(فالذين كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ) الحج :19 . عن نائب الفاعل (ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ)، لإفادة اختصاص أهل النار بهذا العذاب، و بهذه الوسائل المادية المحسوسة دون غيرهم. و قد قدمت (ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ) على الجمل الموالية، لأن ارتداء هذه الثياب يفقد المعذبون القدرة للدفاع عن أنفسهم. ولذا تأتي أصناف العذاب الأخرى بعد أن تتصدر هذه الجملة بكل إيحاءاتها الصدارة في تصوير العذاب الأول.

2- المبالغة :

<< **تعد المبالغة في إيراد المعاني الغرض الأساسي في باب قوة اللفظ لقوة المعنى** >>[3]، إذ مما لا شك فيه، كانت الألفاظ القرآنية لائقة بالمعنى المتضمن، و بالغرض الديني من هذا التعبير بالتصوير. إذ لمسنا قمة التصوير بهذه الألفاظ، التي جاءت مطابقة للمقام؛ مقام الترهيب. و على هذا الأساس يمكننا أن نقول اتسمت الألفاظ القرآنية في آيات العذاب بالجمال و روعة التعبير و إيحاءات التصوير. وبهذه السمات حاز التخييل على << **المبالغة في استخدام الوجدان لتقريب المعاني و الصور** >>[4].

3- الحركة :

من سمات هذه الألفاظ القرآنية أيضا، أنها أفعال تصور حركات متعددة ومتنوعة، إذ تعتبر

1- بلاغة الكلمة و الجملة و الجمل/منير سلطان/منشأة المعارف بالأسكندرية : مصر/دط/دت/ص138.

2- علم المعاني/عبدالعزيز عتيق/دار النهضة العربية : بيروت/دط/1405هـ-1985م/ص136.

3- علم الجمال اللغوي-المعاني-البيان-البديع-/محمود سليمان ياقوت/دار المعرفة الجامعية : مصر/ دط/1995م/ج2/ص 564.

4- يوم الدين و الحساب/شكري محمد عياد/ص 96.

الحركة الفعلية ظاهرة بارزة في كل هذه النصوص المختارة، حيث يبث كل لفظ في التركيب الجملي صورا عن طريق الخيال. لأن << **الحركة المتخيلة ما كانت تثور في الخيال لولا اللفظ المصور الذي ألقاها في النفس و الخيال** >>[1]، و قد اكتسبت المشاهد المتنوعة حيوية و فنية منقطعة النظير؛ حيث جاءت الصور مليئة بالحركات الحسية المشاهدة؛ منها حركات وئيدة (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ) التوبة : 35، وحركات سريعة (قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ من نَّارٍ) الحج : 19. و حركات فعلية أخرى تدل على التجدد و الحدوث (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا من غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا) الحج:22، و منها حركات لوصف الحال بالفعل المضارع المبني للمجهول (**يصب ، يصهر**) . وبهذه الحركات جميعا صورت آيات العذاب النتائج النهائية كرد فعل طبيعي عن أفعال (**الكفر، التخاصم، البخل...**) .

و قد كانت في أغلبها أفعال مضارعة مبنية للمجهول، تجعل المتأمل دائم التركيز على الحدث لا على الفاعل، فالفاعل آمر، و المأمور به هو جوهر العرض. و بهذه الخصيصة القرآنية، لوحظت الحركة من جزئيات المشاهد المعبرة عن جو القسوة ، بلون القتامة، و بظلال الغم و الهم. إن التوقف عند هذه القيم البلاغية يثبت << **ما امتازت به مفردات القرآن الكريم من التناسق الفني ... و الائتلاف المحكم، و الإيحاء العجيب، و التصوير البديع، مما يدل على أن نظم هذه الألفاظ ليس من وضع البشر، وإنما هي شيء فوق مقدورهم** >>[2].

و خلاصة القول، يصل التعبير عن العذاب الحسّي و المعنوي قمة في الجمال، عن طريق مجموعة من المفردات الفصيحة البينة، البالغة الإثارة، ذات المساهمة الفعالة في حسن إخراج المشهد كاملا، و هذا في إطار التركيب الجملي.

1- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب / صلاح عبد الفتاح الخالدي / ص 142 .

2- الإعجاز في نظم القرآن / محمود السيد شيخون / مكتبة الكليات الأزهرية : القاهرة / ط1/1398 هـ - 1978 م / ص 82 .

3- التصوير النفسي لأهل النّار :

تمتد معاناة أهل النّار من المعاناة الحسّية القاسية إلى المعاناة النفسية في مجموعة من المشاهد القرآنية التصويرية، حيث تعيش النفس فيها معضلات و أزمات كثيرة لا حصر لها. هذه النفس التي تعتبر << **القوة الكامنة في الجسم الإنساني، و التي هي مجمع الخير و الشر و مستقر الغرائز و النزعات المحركة لهذا الجسم المادي في تصرفه و اتجاهه...** >> [1] ماهي استجاباتها ؟ و ماهي صورتها في الآخرة ؟ هل هي نفس جديدة لا تملك حق الدفاع عن الجسد المتلظى؟ أو حق الدفاع عن كرامتها المهدورة؟.

عرضت المشاهد القرآنية مجموعة من الانفعالات الناشئة من التوتر، بسبب الإدراك الواعي لبيئة العذاب الحسّي ووسائله و أهدافه. و من الآيات القرآنية التي تجلى فيها تصوير العذاب الحسّي و النفسي لأهل النّار ما جاء في سورة الأنبياء، حيث يلتحم الحسّي بالنفسي ليعرضا الصورة الكبرى لمزيج من عذابين، لا يقدر عليهما المعذب !

قال عز وجل :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾

الأنبياء: 38-40.

هذه مواجهة قرآنية صريحة للكافرين، وتصوير فني فريد من بين مجموعة كثيرة من آيات العذاب. سبع صور متتابعة، أو مشهد << لرواية واحدة، يتلو بعضها في **الاستعراض، فتتم بها صورة شاخصة في الخيال، و هي صورة فريدة للفزع و الخجل و الرهبة و الاستسلام. يجللها ظل كئيب ساهم، يكمد الأنفاس ... فإذا قرأها القارئ تمشت رعدة الهول في حناياه كأنما يلقاه** >>[2].

ففي الآية الأولى (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) الأنبياء : 39. يلوح التعذيب النفسي من خلال صورتين حسّيتين، ذواتا مضمون و احد؛ مفاده وجود مواجهة عنيفة بين الإنسان الكافر و بين إحدى مخلوقات الله؛ النّار. أو بمعنى آخر؛ بين فاعل له وظيفة الإحراق، وبين مفعول به يكابد ألم هذه الوظيفة العسيرة ! إذ تصور الجملة المنفية (لَا يَكُفُّونَ) بلفظها العجز المطلق على كف النّار عن الوجه و الظهر. و يكون العجز عجزين. و تكتمل صورة العجز في المقطع الأخير (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) بتقرير آخر مفاده أن الإنقاذ أو طلب النصرة هو أيضا مستحيل و غير ممكن ! .

1- نفوس و دروس في إطار التصوير القرآني/توفيق محمد السبع/سلسلة البحوث الإسلامية/السنة الثالثة/ 1391 هـ - 1971 م / ج1 / ص 40 .

2- التصوير الفني في القرآن / سيد قطب / ص60 .

و يرسم التعبير القرآني في الآية الموالية (بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها و لاهم ينظرون) الأنبياء :40. صورة مألوفة في حياتنا؛ فهذه الصورة (بل تأتيهم بغتة) تشبه كثيرا صورة الذين تبهتهم ألسنة النار دون أن يدروا، و يحاولوا مواجهتها بكفها عن وجوههم وعن ظهورهم بشتى الطرق و الوسائل، و كثيرا ما يجدون من يمد لهم يد المساعدة. لكن في هذا التصوير الأخروي تأتي النار أصحاب الكفر من حيث لا يدرون، حيث تحل عليهم فجأة، و حلولها هذا من أشد الصعوبات التي يلاقونها. فالجدة في هذه الصورة تكمن في كونها صورة مستديمة، توحي بظلال سوداء قاتمة، تحمل الفزع في كل جزئية من جزئياته.

و في قوله عز وجل :

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جعلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوما مَّدْحُورا﴾

الاسراء :18 .

يعيش المعذب من أهل النار في هذا المشهد التصويري عزلا واضحا ؛ بتحطيم تام لغروره و غطرسته، فإذا كانت الصور السابقة << **ترسم الهول ظاهرا للعيان، فهناك صور لايدركها إلا الوجدان** >>[1]. فهذا المشهد يعبر عن الإهمال المعنوي، فأول ما يوقفنا في الآية كلمة (يصلاها) المعبرة عن صورة حسّية مفزعة ككل صور آيات العذاب. و يصلا من << **صلي الكافر النّار قاسى حرها ... و قيل صلي النّار دخل فيها و الصلا يقال للوقود و الشواء** >>[2]. فهذا المشتهي لشهوات الدنيا ، ينتظره جزاء حسّي و هو الصلا، الذي يقع على الجلد ، فيلحق به الألم الموجع. و يزاد عليه إهانتان اثنتان ، تتمثلان في الذم و الدحر. إذ تفيد كلمتا (مَذْمُومًا) و (مَّدْحُورًا) التعبير عن الحال المعنوي لهذا المشتهي المغرور! فـ(مَذْمُومًا) يشار بها إلى الإهانة، و (مَّدْحُورًا) يشار بها إلى << **البعد و الطرد من رحمة الله** >>[3]. و كلتاهما معاناة نفسية قاسية، و تراجيديا مؤلمة لا حدود لها ! علاوة على مجيئها على صيغة المبالغة. و هكذا << **يرسم التعبير القرآني صورتين كاملتين لنوعين من [العذاب النفسي] في كلمتين اثنتين، و يبلغ غايته من تبشيع الصورة التي لا يرتضيها، بينما هو يقرر كل من الصورتين** >>[4] في واقع الحياة الأخروية بتحقير و تقذير لكل كافر لاهٍ.

و في مشهد ثالث، يعيش المعذب ضغطا و إكراها لتكيف حسّي و حركي، يقدم صورا للقلق و عدم الارتياح مع العجز الشديد على مواجهة العذاب، حيث يعمل على إيجاد نفس جديدة، غير قوية أمام وسائله !

1- التصوير الفني في القرآن/سيد قطب/ص61.

2- المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهاني / ص285 / كتاب الصاد / مادة : صلا.

3- تفسير النهر الماد / أبو حيان الأندلسي / ق1 / ج2/ ص 288 .

4- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب / صلاح عبد الفتاح الخالدي / ص 258 .

قال عز وجل :

﴿واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾

إبراهيم : 15-17 .

ففي كل لفظة من هذا النص القرآني دور في التصوير الفنّي، و في إبراز الصور النفسية الحقيقية لعيّنة من العيّنات المعذبة، فالنص يبرز ضخامة الهول، بواسطة ألفاظ قرآنية داخل تراكيب جملية، تعمل على إبراز سوء العاقبة في مجموعة من الصور المتتابعة، و المتواكبة معا.

و قد أسفر العذاب الحسّي عن عذاب نفسي و عن حالات معنوية مضمرة، فأول جملة تستوقفنا هنا (مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ) إبراهيم 15. و لفظ (وَرَائِهِ) يفيد معنى عكسيا فهو << **ينطبق على خلف و على أمام كأنه قيل من أمامه و بين يديه جهنّم** >>[1]. هذه جهنم التي جيء بها في هذا التصوير، تفعل الأفاعيل بصاحبها، فهي موكلة به لتعمل على تعذيبه، بإتيانها إياه من خلف و من أمام. و بهذا تعتبر الوعاء الحاوي للحدث، الذي يعرض ألوانا من العذاب الحسّي، الذي يهدف إلى تعذيب النفوس.

و قد ساهمت الألفاظ في إيضاح الصورة عن طريق العرض و الصورة النفسية عن طريق الإيحاء، ففي قوله عز و جل : (مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ) إبراهيم : 16. صورة تفصيلية عما يوجد في هذا المكان، فجهنم بوسائلها تجازي هذا العنيد الجبار جزاء حسيا، بالغ القساوة؛ فالفعل(يُسْقَى) فعل مبني للمجهول يدل على أن هناك من يقوم بفعل الإسقاء، إسقاء الماء الصديد، وبهذه الحقيقة الغيبية ترسم الجملة بألفاظها صورة مفزعة، تثير في النفس التقزز، فهذا الجبار كان في الدنيا يأكل ما طاب من الطعام، و يشرب مالذ من الأشربة يجازى في الآخرة مجازاة عكسية مفزعة؛ (يُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ)، وهذه قمة الإهانات أيضا، وتفصيل لمعنى الآية السابقة، (يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا) الإسراء :8 . ففي هذه الصورة ما يهدد سلطان أهل الكفر، فهي صورة صادقة للوعيد الذي لا مفر منه، صورة قاسية بظلالها، مظلمة بألوانها، صورة للحسّ والنفس معا. فالمعذب، يجد << **نفسه بين شقي رحى ؛ زمان موضوعي من معطيات القياس ... وزمان ذاتي من معطيات المشاعر و الأحاسيس و الحالات النفسية** >>[2].

و تفصح الآية الموالية عن مجموعة أخرى من ردود الأفعال، فهذا الماء الصديد كيف يتلقاه المعذب ؟ أو كيف يتفاعل مع الحدث كلية ؟

1- تفسير النهر الماد/أبوحيان الأندلسي/ق1/ج2/ص194.

2- الزمان الدلالي : دراسة لغوية لمفهوم الزمان و ألفاظه في الثقافة العربية / كريم زكي حسام الدين / مكتبة الأنجلو المصرية : مصر/ط1410/1 هـ - 1991 م / ص 16 .

تبرز الآية الكريمة مدى الألم الذي يعاني منه المعذب في هذه الجمل التصويرية (يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) إبراهيم: 17. فهذه ثلاثة أفعال تعبر عن كون المعذب يعيش أزمنة بطيئة متثاقلة، حيث يأتي الفعل (يَتَجَرَّعُهُ) كحركة تالية لحركة الإسقاء مباشرة، تدل على التكلف ؛ فهذا الماء الفظيع شيء غير محبب للنفس ، فهو يفرض عليها بالقوة،هذه القوة توحي بعدم رضا المعذب عن هذا الماء الصديد؛ فهو (يَتَجَرَّعُهُ) بتكلف واضح (وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ)، ويسيغه من << **ساغ الشراب في الحلق سهل انحداره**>>[1]. فالجملة (وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) تعرض بوضوح العذاب النفسي المتجلي في عدم الاستقبال الحسن لهذا الشئ الداخل عن طريق الفم إلى الأحشاء الداخلية. فهو شيء غير لذيذ إطلاقا، لأنه مغاير تماما لطبيعته الأولى و لتركيبته الأصلية .

و تأتي الحركة الموالية لتبرز قمة الوجع النفسي (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) إبراهيم :17 . فإن كان الموت عبارة << **عن زوال القوة الحيوانية و إبانة الروح عن الجسد**>>[2]. فهو يُصور محسوسا مجسما ، له حركة مستمدة من الفعل (يَأْتِيهِ) المساهم في إنشائها داخل التركيب الجملي، و من ثم في الخيال. و بهذا يجتمع **التجسيم و التخييل** [3] في آية واحدة، بل في جملة واحدة. هذه الجملة التي توحي بكون المعذب في زمن الإحساس بالموت يعيش حالة من الطمع و الأمل في النجاة من العذاب. و تأتي الجملة التالية (وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) إبراهيم :17 مباشرة لتثبيت حقيقة منافية إطلاقا للأمل في الراحة من العذاب. و تأتي كذلك الجملة الأخيرة في هذا النظم التصويري (وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) إبراهيم : 17. لتدل على المتابعة القاسية، التي تكمن في هذا الجزاء.

و خلاصة القول في كل هذه النصوص :

1- تخرج الدلالات الحسّية من مجرد التعبير الحسّي إلى الإيحاء النفسي؛ فهما يمثلان هدفا واحدا في النسيج التصويري، و تلاحمهما يعني أنهما مكملان لبعضيهما، لأن القصد من العذاب الحسّي هو تعذيب للنفس أيضا.

2- يكمن الإعجاز البياني في هذا التصوير الفنّي في ألفاظ التراكيب، فالألفاظ هي الألفاظ المألوفة، لكن الشيء الجديد هو مساهمتها في إخراج صور جديدة غير مألوفة.

3- بدت انفعالات نفسية مضمرة في هذه المشاهد التصويرية من خلال التعبير عن مواطن الضعف، والعجز المطلق، و الرهيب في مواجهة العذاب.

1- المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهاني / ص 249 / كتاب السين / مادة : ساغ .

2- المصدر نفسه/ ص 477 / كتاب الميم / مادة : موت .

3- انظر التصوير الفني في القرآن / ص 71 .

4- كان للفعل في هذه النظوم التركيبية دور بارز في توضيح الحال، و استحضار الصور الناشئة من مواقف جزائية متنوعة.

5- تفيد النصوص أن الشر عاقبته وخيمة في ظل التصوير الفنّي الراقي و الواقع .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4- التصوير الحسّي للجنّة :

يعتبر التصوير الحسّي من بين مزايا التعبير القرآني البياني في آيات النّعيم؛ وقد كان الاعتماد في عرض الصور الفنّية للجنّة على مجموعة من الألفاظ القرآنية الحسّية، إذ ساهمت هذه الألفاظ - في نظومها التركيبية = في عرض مناظر الجنّة المختلفة في كل آية أو نص على حدة.

ومن بين الآيات القرآنية التي استمدت الصورة الفنّية جمال المنظر المعروض عن طريق مفردات لها دلالة حسّية، قوله عز و جل :

﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾

الزمر:20.

حيث رسمت هذه الآية القرآنية بمفرداتها البسيطة و المألوفة معمارا هندسيا جميلا. فقد خصص الله عز و جل للذين اتقوه في الدنيا جزاء، هذه صورته؛ لهم غرف سفلية من فوقهم غرف علوية، تجري من تحتها الأنهار. و مجيء المعمار بهذه الطريقة صورة محببة للنفس البشرية؛ فالنفس تحب الجمال و تجنح إليه، و لأجل هذا، فقد وفاها الله عز وجل حقها ذلك اليوم بمختلف المناظر و الهندسات المعمارية. علاوة على هذا، فصورة الأنهار التي تجري من تحت هذه الغرف المبنية بعضها فوق بعض متناسبة تماما مع الجو التصويري من جهة ، ومع ما تميل إليه النفوس. فمما لاشك فيه أن ما تحدثه الأنهار من أصوات عذبة، لاشك أن له تأثيرا بالغا و حسنا عليها، و بهذا تجتمع لها كل المتع الحسّية من حسن المنظر و عذوبة الصوت في آن واحد.

و خلاصة القول :

تم إبراز معالم البناء، و مايلحقه من جماليات أخرى في هذه الآية، بواسطة مفردات تضامت في نظم تعبيري، ذي دلالة جمالية فنّية و جلية. وبهذا كانت الركن الأساسي في هذا التصوير الحسّي الخلاب، الذي يوحي بحسن الخاتمة و الإقامة الطيبة لأهل الجنة.

و في قوله عز و جل :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۞ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۞ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۞ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۞ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۞ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾

النبأ: 31-36.

من أخص خصائص هذا النص القرآني << **أنه يتسم بالتماسك و التناسق و خدمة الكل للإطار العام ... فعمدة انسجام [النص] يتجلى في الارتباط الوثيق بين قيمها المعنوية و قيمها الشكلية** >>[1].

1- سورة الفرقان- دراسة أسلوبية - /مخطوط رسالة ماجيستير/ عزيز عدمان/ معهد اللغة و الأدب العربي/ جامعة الجزائر : الجزائر/ 1994 - 1995م/ ص 369 .

و قد حدد النص عناصر المشهد العام، هذه العناصر المتنوعة، و المعبرة عن جمال المنظر العام لهذه المفاز، إذ جمع النص بأياته الموجزات بين المتعة الحسّية : الحدائق و الأعناب و النساء و الكأس، وبين المتعة الروحية (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا) النبا:35. وهذا كله تحت إطار الجزاء الحسن، فالجو كله بهجة و الصورة << **كما تبدو للعيان منتزعة من واقع حسي محدد**>> [1]غير أنها مشبعة بالأبعاد الروحية و الأخلاقية.

إن الدارس للفظة القرآن << **يلمس روعة ما فيها من الجمال و الفن، و صورة الإبداع التي تشع منها، و ظلال المشاهد الحية، و قوة الحركة فيها، و مقدار ماتملكه من سيطرة على الوجدان و المخيلة، ومدى إثارتها و تأثيرها على النفس، و فتح الآفاق ... ليعيش الدارس على أرض خصبة تموج بالحركة و الإثارة و بالتصوير المتنوع** >>[2]، وهذا ما بدا جليا في هذه الآيات، التي تعتبر كشريط متضام العناصر. زيادة على هذا، استمد التشويق قوته و تأثيره من تنكير المفردات، لتناسبه مع النص، من حيث كون الجنّة من علوم الغيب، فلا أحد من العالمين يعرف كنهها، إلا بالتعبير القرآني عنها.

و خلاصة القول :

رغم ما عبرت عنه المفردات القرآنية من استقلالية في التصوير، إلا أن ما يميز النّص القرآني هو حسن تعايشها مع جاراتها في إبراز المنظر العام لهذا المفاز الخلاب. وتبقى المفردات رغم هذا النظم الإبداعي مفردات بسيطة، منتزعة من عالم حسي، مألوفة في الاستعمالات اللغوية. و هذا قمة الإعجاز البياني في آيات النّعيم.

1- سورة الفرقان-دراسة أسلوبية-/مخطوط رسالة ماجيستير/عزيز عدمان/ص366.

2- الإعجاز الفني في القرآن/ عمر السلامي/ مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله/ تونس/ط/دت/ ص 72 .

5- التصوير الحسّي لأهل الجنة :

جاء التصوير الحسي لأهل الجنة في مجموعة من النصوص القرآنية منها قوله عز و جل :

﴿ انَّ الذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ إنَّا لانُضِيعُ أجْرَ مَنْ أحْسَنَ عَمَلاً ۞ أوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الانْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن اسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَ يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَ إسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الارَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

الكهف: 30-31

صورت الآية الكريمة جانبا هاما من الجوانب الحسّية لنّعيم أهل الجنة، إذ جمعت بين تصوير الجنّة و تصوير أهلها. فهذه الجنّة ليست واحدة، بل هي كثيرة، قال تعالي : (لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الانْهَارُ) الكهف: 31، فككل مرة تتكرر هذه الصورة الأخاذة، فهي تدل على أهم ما يزيد جنات الإقامة الأخروية بهاء و جمالا الأنهار التي تجري من تحت أهل الجنة السعداء.

بعد هذا التمهيد، انتقل التعبير من تصوير المكان إلى تصوير المستقرين به، فأهل الجنة (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنَ اسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ) . وهذه الصورة صورة تخييلية حسّية محضة، لها دلالة جمالية جلية. علاوة على هذا، فالتركيب الجملي المتعدد يمتاز بمجموعة من الألفاظ، و كل لفظ قرآني يوضح مع الألفاظ المجاورة المشهد كاملا، و بهذا تعتبر الألفاظ صورا جزئية ؛ إذ يلقي لفظ (يُحَلَّوْنَ) في الخيال صورة محددة على اعتبار التحلية هي << **وضع الحلي على الجسم** >>[1]، و قد اختيرت التحلية في هذا التصوير المشوّق بالأساور، و للتوكيد أكثر، زيدت (مِنْ ذَهَبٍ) للإخبار عن مادة هذه الأساور.

و لاتتوقف زينة أهل الجنّة في هذا التصوير القرآني عند حد التحلية، بل تتعدى إلى الحديث عن لباسهم، فإذا كانت أساورهم من ذهب، فلباسهم من سندس و إستبرق، قال تعالى : (وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُنْدُسٍ وَ إسْتَبْرَقٍ) الكهف: 31، و السندس << **صنف من الثياب، و هو الديباج الرقيق يلبس مباشرا للجلد ليقيه غلظ الإستبرق** >>[2]. أما الإستبرق فهو << **الديباج الغليظ المنسوج بخيوط الذهب ، يلبس فوق الثياب المباشرة للجلد** >>[3]. و لهذه الآيات ميزة فنّية ، تتمثل في << **وحدة الرسم** >>[4]؛ التي تجلت في تناسق الألوان، إذ ما يناسب الجنات أنها ذات أشجار خضراء، و لهذا اختير أن يكون لباسهم أخضر، علاوة علىكونه << **أعدل الألوان و أنفعها عند البصر** >>[5]. أما التحلية بالأساور الذهبية، فهي تتناسق و الملابس

1- تفسير التحرير و التنوير / ج17 / ص 231 .

2- المصدر نفسه/ مج(13-15) ج15 / ص312 .

3- المصدر نفسه / ص ن

4- التصوير الفني في القرآن/ ص 114 .

5- تفسير التحرير و التنوير / ج 15 / ص 312 .

الإستبرقية المنسوجة من ذهب.

و تصوّر الجملة الأخيرة في هذا التصوير حركة متخيلة ينشئها التعبير القرآني، فإلى جانب هذا النّعيم المادي الذي يتمتعون به، فهم (مُتَّكِئِينَ عَلَى الارائِكِ) الكهف:31 و الاتكاء << **جلسة الراحة و الترف، والأرائك : جمع أريكة ، وهي إسم بمجموع سرير و حجلة. و الحجلة : قبة من ثياب تكون في البيت تجلس فيها المرأة أو تنام فيها ... فإذا وضع فيها سرير الاتكاء أو الاضطجاع فهي أريكة. و يجلس الرجل و ينام مع المرأة، و ذلك من شعار أهل الترف** >>[1].

و خلاصة القول :

يبدو من النّص حسن توزيع الألفاظ القرآنية على الرقعة المخصصة للتصوير و بهذا << **تتعادل الألفاظ في الوضع و تتناسب في النظم** >>[2] .

و في قوله عز و جل :

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۞ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَّهُمُ الأبْوَابُ ۞ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرَابٍ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾

ص : 49-52.

في هذا المشهد القرآني التصويري تصوير بالتخييل ، مستمد من إحدى الكلمات الرئيسية و هي (مُفَتَّحَةٌ)، الدالة على أن أبواب الجنّات تفتّح لأهل الجنّة استعدادا للقائهم.

علاوة على هذا، فمن أسباب التكرار في آيات النّعيم التأكيد؛ إذ كرر تصوير حركة الاضطجاع مرة أخرى في الجزئية التالية (مُتَّكِئِينَ فِيهَا) ص : 51. هذه الحركة التخييلية تفيد معنى الاضطجاع في الجنّات، و هذا كما ذكر سابقا من شعار و من ميراث أهل الترف – أهل الجنّة-.

و للفظ (يَدْعُونَ) في الجملة القرآنية (يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرَابٍ) ص: 51 معنى تصويري واضح؛ فأهل الجنّة لا يشقون أبدا لجلب أسباب اللذة الحسّية؛ فهم مخدمون لا خادمين.

و قد سبقت اللذة الذوقية ، اللذة الجنسية في هذه الآيات، ففي الصورة الأخيرة من هذا المشهد المركب، يشير التعبير القرآني إلى جانب بسيكلوجي هام، هو(وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ) ص: 52. فلا تكتمل اللذة الحسّية بالفواكه و الشراب، بقدر ما يجتمع معها التلذذ بقاصرات الطرف، و قاصرات الطرف هن << **نساء ذوات حياء قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير أزواجهن** >>[3]. زيادة على هـــذا

1- تفسير التحرير و التنوير/ج15/ص312.

2- علم الجمال اللغوي/محمود سليمان ياقوت/ج2/ص533.

3- تفسير سورة ص/محمد أبو النور الحديدي/مطبعة الأمانة : مصر/ط1/1401هـ-1981م/ص195.

فقد أفاد لفظ (أَتْرَابٌ) أنهن << **متساويات في السن و الجمال يحب بعضهن بعضا و في ذلك راحة كبيرة للأزواج، إذ في تباغض الضرائر قلق و هم كثير للأزواج و وهن** >>[1].

نستخلص من هذا النص القرآني، كانت للألفاظ وظيفة فنّية في ضبط الحركات التخييلية لأهل الجنّة. فمجيئها لم يكن عبثا، فهي توحي بالدلالات المعنوية كما تؤكد الدلالات الحسّية، وقد كان حضور الجانب البسيكولوجي بقوة في كل صورة – في كل مفردة – من صور – مفردات – المشهد. فالتناسق بين الصور تكفله هذه الألفاظ التي << تؤدي إلى **تحقيق الجمال في الدلالة التي هي جزء من السياق العام أو النظم** >>[2] .

وخلاصة القول :

إن النّعيم الذي تصوره الألفاظ القرآنية في التركيب تتجاوز النّعيم الحسّي إلى النّعيم المعنوي، فكلاهما مكملان لبعضيهما و متلازمان. و قد حسن التعبير بالتصوير في التماس اللفظ الجميل للصورة الجميلة. وتبقى مفردات الآيات مفردات مألوفة، مطابقة لمقتضى الحال، و مناسبة لصور المشاهد كلها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- تفسير سورة ص / محمد أبو النور الحديدي / ص 195 .

2- علم الجمال اللغوي / محمود سليمان ياقوت / ج2/ص 531 .

6- التصوير النفسي لأهل الجنّة :

وردت آيات قرآنية كثيرة في تصوير أهل الجنّة من الجانب النفسي من بينها قوله عز و جل :

1- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

الأنبياء: 101-103.

2- ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾

النمل: 89.

3- ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

الزمر:61.

هذه الآيات القرآنية مجتمعة معا تصور بمجموعة من الألفاظ الحالة النفسية لأهل الجنّة، و تؤكد و تفصل قوله عز و جل : (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة:62. ففي قوله عز وجل: (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) الزمر:61. بدا التصوير النفسي جليا في المقطع الأخير من الآية (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)، و الحزن في تعريف علماء النفس << **يمثل استجابة محددة ملفعة بنظرة سوداء حيال مظاهر الحياة** >>[1] . و هو في هذه الآية من الظواهر النفسية التي لا تناسب مقام أهل الجنة، بسبب تأثرهم بانفعال آخر هو الفرح الذي يعبرعن الإحساس بالسرور و البشر مقابلا لهذا الانفعال - الحزن- و نفي حالة الحزن و انعدامها بين أهل الجنة و اعتبارها كقاسم مشترك بيّن، يد ل دلالة واضحة على الصحة النفسية التي يتمتعون بها - عكس ما يحسّه أهل النّار - وعليه فإن هذا النفي يكفل الأمن النفسي لهم كجزاء طيب و جميل. ومجيء كلمة (يَحْزَنُونَ) في هذه الجملة المنفية يبين أن التصوير لا يكون من خلال اللفظ فقط؛ بل تساهم الأدوات من خلال التركيب مع اللفظ الرئيسي في رسم الصورة النفسية، و توضيحها جلية للعيان حيث ساهمت **(لا)** هنا بإخراج الفعل << **من صفة الحدوث، و اقتطاعه و طرحه بعيدا عن دائرة الكينونة لأن ... النفي إخراج حدث بعينه من الوجود المطلق** ...>>[2] و عليه، فما ترسمه هذه الجملة بكل أركانها هو تقرير واقع لنفسيات تعيش الأمن المطلق.

و في قوله تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) الأنبياء:101-103.

1- دراسات في علم النفس الإسلامي/محمود البستاني/دار البلاغة : بيروت/ط1411/2هـ-1991م/ج2/ص33.

2- بلاغة الكلمة و الجملة و الجمل / منيرسلطان / ص 166.

تجلي الألفاظ القرآنية مشهدا مليئا بصور الاستجابة الانفعالية الإيجابية، و إحساسا دائما بالسعادة و البشر، إذ يبدو من الآي أن انعدام الحزن ظاهرة نفسية تتكرر في محطات التصوير الأخروي، فنفي الحزن من الفزع مرتبط بالسعادة النفسية، و الفزع في تعريف علماء النفس – التعريف الأرضي–<< **هو حالة من الخوف الشديد لسبب معين، يكون فيها الشعور بالخوف أكثر بكثير من السبب الداعي له** >>[1]. هذا بالنسبة للفزع الذي يصيب الإنسان كمرض نفسي في الدنيا، فما أدراك بالفزع الأخروي، إنه فزع يفوق خيالاتنا و ثقافتنا العلمية و النفسية الآن.

و خلاصة القول من هذا التحليل الموجز :

1– ضبطت الألفاظ القرآنية بالتركيب الانفعالات النفسية ضبطا محكما (لَايَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ/ وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ / وَهُمْ آمِنُونَ). و واسعا من حيث المعاني المتضمنة. و بهذه الميزة فإن آيات التصوير النفسي مجتمعة معا توحي بأكثر من الظاهر.

2– إن قمة الإعجاز البياني القرآني تكمن في أن الألفاظ بالتركيب قد أثبتت معاني بسيكولوجية جديدة؛ غير المعاني التي أدركناها و ندركها في ثقافتنا الآنية و بهذا كانت لها دلالة مطابقة المقام لمقتضى الحال.

3– تصور الألفاظ القرآنية بالتركيب الحالات الانفعالية الدائمة لأهل الجنة. حيث تبدأ بالتعبير لتنتهي إلى الجمال عبر دلالات و إيحاءات تصويرية لها تأثير في النفس و الخيال.

1– النفس– انفعالاتها–أمراضها–علاجها–/علي كمال/ط1/1967م/ص225.

و نأتي في آخر هذه الدراسة الجزئية إلى تسجيل هذه الملاحظات :

من البديهيات أن الآية القرآنية تتصل اتصالا مباشرا بمفرداتها – لأنها تعتبر الوحدات المكونة لها. و إذا كانت للكلمة وظيفة ذاتية، فإنها تتميز أيضا بالوظيفة << **... الغيرية... من حيث كونها عضوا في جماعة، و لبنة في بناء، فالإطار أو الحيز المكاني و الزماني الذي توضع فيه الكلمة يكون له أكبر الأثر في استخلاص ما تبقى من طاقات الجمال في الكلمة** >>[1]. و من هذه الوظيفة الغيرية، فالهدف من دراسة اللفظ القرآني، لايعني إخراجه من السياق الذي جاء فيه، فالهدف الرئيسي منها هو تجلية الوظيفة التصويرية الفنّية و الدلالية للألفاظ المعبر بها ضمن التراكيب الجملية، و ضمن النظوم المختلفة، فاللفظة القرآنية << **تبقى قاصرة عن تأدية حركتها الكاملة مالم تدرج ضمن بناء أوسع و هو الجملة** >>[2]. فقيمتها لا تكمن في ذاتها فحسب بل << **في علاقتها بالتركيب، و حسنها في دقة وقعها من نظم الكلام** >>[3]. من هذا نصل إلى أن دعامة العبارة القرآنية هي الكلمة أو اللفظ، مما يؤكد رأي القدماء الذين يرون << **أن إعجاز القرآن الكريم يظهر في نظمه ، ويقصدون بذلك تلك العلاقات التي تنشأ بين الألفاظ و معانيها لتؤدي إلى ضرب من الإعجاز و التأليف لا يقدر على مثله بشر** >>[4].

و هذا مالمسناه بوضوح في هذه الدراسة بشقيها، مما يجعلنا نؤكد أن ألفاظ القرآن في التصوير الفنّي في آيات العذاب و النّعيم ساهمت مساهمة فعالة ، كان لها تأثير واضح على الحسّ و النفس معا.

1- بلاغة الكلمة و الجملة و الجمل / منير سلطان / ص 112.

2- سورة الفرقان – دراسة أسلوبية-/مخطوط رسالة ماجيستير/ عزيز عدمان/ ص207 .

3- بحوث و مقالات في البلاغة/ فتحي عبد القادر فريد/ مكتبة النهضة المصرية : القاهرة/ط 1/ 1404 هـ – 1984 م / ص 152 .

4- علم الجمال اللغوي / محمود سليمان ياقوت / ج1 / ص 98 .

المبحث الثاني :

سمات التصوير بالعبارة القرآنية.

1- التصوير بالتكرار :

التكرار في اللغة << **هو مصدر (كرر) إذا ردد و أعاد يقال : كرر الشيء تكريرا، و تكرارا، أعاده مرة أخرى** >>[1] أما في الاصطلاح فهو << **دلالة اللفظ على المعنى مرددا كقولك لمن تستدعيه (أسرع أسرع)، فإن المعنى مردد و اللفظ واحد** >>[2].

و من الآيات القرآنية – آيات النعيم – التي بدا فيها التكرار جليا. قوله عز و جل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ النَّصَارَى وَ الصَّابِئِينَ مَنْ امَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

البقرة :62.

﴿ وَ قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا اوَ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ بَلَى مَنْ اسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

البقرة : 111-112.

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَايُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَاأَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾

البقرة : 262.

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

البقرة :274.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

البقرة :277.

تكررت في كل هذه الآيات جملة قرآنية واحدة ، هي قوله عز و جل : (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ). حيث كررت خمس مرات. أسند الأجر في إحداهن للمفرد (فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة 211-212. إن تكرار هذه العبارة القرآنية خمس مرات في سورة واحدة – في سورة البقرة – من المظاهر الملفتة في آيات النّعيم. فكما كررت الأنهار التي تجري من تحت الجنات في

1- أسرار التكرار في لغة القرآن/محمود السيد شيخون/مكتبة الكليات الأزهرية : القاهرة/ط1/1403هـ-1983/ص09.

2- المرجع نفسه/ص ن.

سور كثيرة. كررت هذه العبارة لمقصد قرآني، نحاول استجلاءه بهذا التحليل.

إن النظر في الآيات المكررة يؤكد ما اصطلح عليه علماء البلاغة؛ في أن المعنى الذي تضمنته الآيات واحد . إلا أن الذي نستوحيه من ربط هذه الجملة القرآنية المتعددة التركيب بالسياق، يوسع المقصد من التكرار. ففي الآيات (262 - 274 - 277)، ارتبطت (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) بقضية حبب إليها القرآن كثيرا؛ و هي الإنفاق في سبيل الله فقال عز و جل في الآية 262 : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ). إن الجزاء الأخروي المتمثل في الأجر و الوعد بتوفير الأمن و انعدام الحزن يرتبط مباشرة بالإنفاق المشروط بعدم تبعيته بالمن و الأذى. هذا البند الأول الذي يجازى عليه أهل الجنّة يؤدي حتما إلى توفية الأجر الموعود به. فالإنفاق له قيمة كبيرة في حياة الناس؛ لأنه ييسر العسر، و يخفف من كربة المكروب، أيا ماكانت هذه الكربة. و لأن الجزاء من جنس العمل فالأجر الموعود به يتسق مع الإنفاق، ولهذا فالإنفاق و الأجر يحتملان في هذا التعبير القرآني وجهين من وجوه التقابل. فالاحتمال الأول : أن يكون الأجر حسّيا تبعا للإنفاق الذي يحتمل في وجوه كثيرة أن يكون حسّيا، و بهذا يكون التقابل بين صورتين حسّيتين. أما الاحتمال الثاني، أن يكون الأجر معنويا، و بهذا يكون التقابل بين حسّي – الإنفاق – و بين معنوي – الأجر–، و في كل الاحتمالات فإن هذا الأجر الموعود به، لايعلم حقيقته إلا الله عز و جل، علاوة على هذا، و للقيمة الأخلاقية التي يتركها الإنفاق من فرح في النفس، وارتياح و اطمئنان، فإن الله عز و جل بلغ أهل الجنّة مأمنهم يوم القيامة بقوله (وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ).

أما في قوله عز و جل : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة: 274. تنص الآية القرآنية على البند الثاني لتوفية الأجر وإبلاغ أصحاب الجنّة مأمنهم؛ بإبعاد الخوف و الحزن عنهم، و المتمثل في الإنفاق بالسر و العلن، و الليل و النهار، يؤكد ثانية قيمتين ؛ قيمة دنياوية : وهي الإنفاق. و قيمة أخروية : و هي إبعاد الخوف و الحزن عن أصحاب الجنّات. و قد قوي المعنيان بالتكرار – على أساس أن من أهدافه التأكيد و تقوية المعنى–.

أما في الآيَة الثالثة : فقد جاء الأجر أيضا مرتبطا بأمور كثيرة قال عز وجل : (انَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة: 277. إن الأجر في هذه الآية مرتبط بأمور كثيرة أولها : الإيمان بالله عز و جل. وثانيها : العمل الصالح. وثالثها : إقامة الصلاة. و رابعها : إيتاء الزكاة. و قد جاءت الزكاة هنا مؤخرة؛ لأنها إنفاق أيضا ، لكنها لا تنحصر في المال فقط فمجالاتها كثيرة و متعددة .

إن الذي نستخلصه من كل هذه الآيات القرآنية لظاهرة التكرار القرآني :

1- من اللطائف التعبيرية في هذه الجملة المركبة و المتكررة و المؤكدة على حصول الجزاء بهذه الصورة أن الخوف و الحزن جاءا متلازمين، و تفسير ذلك أنه << **لما كان الخوف و الحزن متلازمين كانت خصوصية كل منهما سارية في الآخر** >>[1].

2- من محاسن التكرار في هذه الجملة القرآنية التصوير بالإيحاء عن طريق التخييل؛ و ذلك بتكرار صورة الجزاء (لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

3- إن التكرار يزيد من تأكيد المعنى المراد و الحض على أسبابه. و على هذا الأساس، فإن التكرار يعد : << **واحدا من الظواهر اللغوية التي نجدها في الألفاظ و التراكيب و المعاني لتحقيق البلاغة في التعبير، و التأكيد للكلام، و الجمال في الأداء اللغوي ، و الدلالة على العناية بالشئ الذي كرر فيه الكلام** >>[2] .

و من الآيات القرآنية التي اتسمت بظاهرة التكرار في آيات العذاب قوله عز وجل :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾

الروم:16.

﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾

سبأ: 38.

تعتبر الجملتان القرآنيتان (فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) و (أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) جملتين تصويريتين مكررتين في سورتين قرآنيتين متباعدتين ؛ فبين " **الروم** " و " **سبأ** " توجد ثلاث سور أخرى، هي " **لقمان** " و " **السجدة** " و " **الأحزاب** " فرغم هذا التباعد بين الصورتين، إلا أنهما تتحدان في تقرير حقيقة أخروية واحدة عن طريق التصوير بالتكرار أيضا برغم اختلاف أسباب الشقاء المؤدية إلى استحضار هذه الصورة. ولقد اتضح من خلال النظم القرآني أن بين الجملتين المتحدتين في اللفظ و المعنى اختلاف طفيف؛ تمثل في تعلق الفاء بأولئك في الآية الأولى (فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ). وتخلص الآية الثانية منها (أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ). في حين تجلى التكرار في التركيبة الجملية ، فكان أبرز لفظا مكررا في السياق هو(مُحْضَرُونَ). و تفسيره أنه << **يجوز أن يكون من الإحضار، أي جعل الشيء حاضرا ، أي لا يغيبون عنه، أي لايخرجون منه ... و يجوز أن يكون محضرون بمعنى مأتي بهم إلى العذاب** >>[3]. و أيا ما كان التفسير، فإن القيمة الجمالية في هذا النظم تتمثل كما ذكرنا في التصوير بالتكرار، بإعادة التعبير عن هذه الحقيقة مرتين، دلالة على ما لها

1- تفسير التحرير و التنوير / ج1/ ص541 .

2- علم الجمال اللغوي / محمود سليمان ياقوت / ج2/ ص 449.

3- تفسير التحرير و التنوير / مج (20 - 21) ج 21 / ص 64.

مـن تـأثير شـديد علـى النفس، و التصويـر بكلمـة (مُحْضَرُونَ) تصويـر تخييلـي حسّـي يجعلنـا نشـاهد هـؤلاء المعاجزين و المكذبين بآيات الله في العذاب، و ليس هذا فحسب، بل قارب هذا التصوير بين حقيقتين متباعدتين : حقيقة معنوية و هي العذاب، و حقيقة حسّية وهي محضرون، وهذا من خلال<< **التجسيد الذي يعطي المعنويات صفات محسوسة مجسدة** >>[1]. ولعل أجمل ما في هذا التركيب الجملي أن الخيال << **هنا يظل يستعرض المشهد المروع ،و يكرر العملية المفزعة، و كلما زاد فزعا و ارتياعا، زاد إقبالاعلى التكرار، و ذلك أن الهول يشد** إليه النفس و يوثقها، **كلما همت منه بالفرار** >>[2]. ثم أن الذي توحيه هذه الكلمة من إيحاءات نفسية هي أن << **الذين كفروا يحضرون إلى العذاب إحضارا على كره منهم و اضطرار**>>[3].إن اعتبار الآيتين آية واحدة رغم تكرارها لمن المشاهد القرآنية القصيرة العرض ذات التأثير الوجداني القوي.

و خلاصة القول :

1- يعتبر التصوير بالتكرار ظاهرة قرآنية في آيات العذاب و النّعيم، إذ تدل دلالة عميقة على قيمة الأمور المصورة سواء أكان التصوير حسّيا أو معنويا.

2- التكرار وسيلة توصيلية، تعلمنا أن هذا الجزاء الأخروي بشقيه : العذاب و النّعيم مطابق لما هو آت لا محالة.

3- بدا التكرار جليا في التراكيب الجملية في جميع الآيات المعروضة مع اختلافات طفيفة لها ضروراتها النحوية و البلاغية.

4- عبرت الآيات بالتكرار عن حقيقة واحدة، مما أضفى عليها تناسقا في التعبير، وقوة في العرض و تأثيرا في النفس و الخيال.

1- النقد الأدبي الحديث - مقاييسه و اتجاهاته و قضاياه و مذاهبه- / حسن درويش / مكتبة النهضة المصرية : القاهرة / ط2 / 1991 م/ص200.

2- التصوير الفني في القرآن/ص136.

3- مشاهد القيامة في القرآن/ص229.

2- التصوير بالإيجاز و الإطناب :

من بين الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر النّعيم مفصلا، بعد ذكر العذاب موجزا؛ ما جاء في سورة الرحمن، إذ جاءت الآيات الأولى من الآية 41 إلى غاية الآية 44 في تصوير أهل النّار في أتون العذاب، قال عز و جل :

﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ۞ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

الرحمن: 41-45.

إذ قوبلت هذه الآيات الموجزات بآيات مطولة عن نعيم الجنّة و أهلها، و كان التقابل وجيزا و مختصرا، لكنه يوحي بظلال نفسية قاتمة عن حال أهل الجحيم.

وقد أشارت الآية الأولى 41 من هذا التصوير الفنّي بهذه الإشارة (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) و السيما هي العلامة، إذ يفرد أهل النّار المجرمون بعلامات تدل عليهم، ليكون الجزاء بهذه الطريقة (فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ)، و هذا الجزاء من بين الجزاءات المادية المحسوسة و المتخيلة؛ إذ يدل لفظ (فَيُؤْخَذُ) على حركة عنيفة ، تصور حالهم الدال على المذلة و المهانة، و من بين وجوه الأخذ السحب إذ << **قيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنّواصي و تارة تأخذ بالأقدام** >>[1]. و النّواصي جمع مفردها ناصية، و النّاصية هي قصاص الشعر، الذي يكون في مقدمة الرأس. إذ يتمكن السّاحبون من أخذ هؤلاء المجرمين من نواصيهم و جرهم، و بهذا التمكن تكون الحركة عنيفة موجعة بالفعل، و يزداد الألم بأخذهم تارة أخرى من أقدامهم، و هذا الفعل أيضا قمة في الإهانة. و بعد ماتتم عملية السحب العنيف، يأتي النداء الإلهي الموجه لأصحاب الجحيم بهذا الأسلوب (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ) الرحمن : 43. و قد أشير إلى جهنّم باسم الإشارة ليدل على كون المشار إليها حاضرة تنتظر هؤلاء المجرمين؛ لكي تكمل مسيرة التعذيب و الإهانة، ولتبطل إحدى الادعاءات الزائفة؛ فهذه جهنم المكذب بها، هي الآن حاضرة بالفعل، ليست سرابا، و لهذا جاء (يُكَذِّبُ) تعبيرا عن الماضي بصيغة المستقبل لإفادة أن التكذيب بجهنّم متجدد و صائر، وواقع في كل زمان و مكان، فهو متجدد مادامت للبشرية أنفاس فوق الأرض.

و قد بين عز و جل في الآية الموالية عن طريق التصويرمرة أخرى صنفا من أصناف العذاب الحسّي، الذي يلاقيه المجرمون في جهنّم، حيث(يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) الرحمن:44. فأهل النّار في هذه

1- تفسير أبي السعود/ أبو السعود/مؤسسة التاريخ العربي – دار إحياء التراث العربي : بيروت / ط2/ 1411 هـ – 1990 م / مج (7 – 8 – 9) / ج8 / ص 183 .

الجملة التصويرية << **يمشون بين مكان النار و بين الحميم فإذا أصابهم حر النار طلبوا التبرد فلاح لهم الماء فذهبوا إليه فأصابهم حره فانصرفوا إلى النار دواليك** >>[1]، فهم يترددون بين شيئين أحلاهما مر؛ ينفرون من النّار إلى الحميم، و ينفرون من الحميم إلى النّار، دون أن يجدوا حلا وسطا !

بعدما فصل التعبير القرآني قليلا في ذكر عذاب أهل النّار انتقل إلى ذكر مواطن النّعيم في فقرتين مليئتين بالصور الجميلة و الأخاذة إذ تبدأ الفقرة الأولى من قوله عز و جل :

﴿وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ وَ جَنَا الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

الرحمن: 46-61 .

و تبدأ الفقرة الثانية من قوله عز و جل :

﴿ وَ مِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدْهَامَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

الرحمن: 62- 77 .

من بين الملاحظات التي لمسناها من بداية العرض لآيات العذاب إلى غاية آيات النّعيم في هذا النص، اجتماع ظواهر ثلاث هي : الإيجاز و الإطناب و التقابل، و كلها ظواهر لها قيمة جمالية. و من بين القضايا التي أثيرت في كتاب " النبأ العظيم" أن القرآن الكريم إيجاز كله، فهو << ... **يستثمر دائما برفق أقل مايمكن من اللفظ في توليد أكثر مايمكن من المعاني، أجل، تلك ظاهرة بارزة فيه كله، يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز. و مواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب. و لذلك نسميه إيجازا كله؛ لأننا نراه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد، و لايميل إلى الإسراف ميلا ما** >>[2].

1- تفسير التحرير و التنوير/مج (27-28) ج27/ص264.

2- النبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن - / محمد عبد الله دراز / دار القلم : الكويت / ط4/1397 هـ - 1977 م/ ص127- 128.

و الإيجاز << **في مصطلح أهل الصناعة عبارة عن تأدية المقصود من الكلام بأقل من عبارة متعارف عليها، ثم أنه يأتي على وجهين، أحدهما القصر، وهو الإتيان بلفظ قليل تحته معان جمة ... و ثانيهما إيجاز بالحذف ...** >>[1]. و بمعنى آخر << **الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى** >>[2]. و من التشبيهات القرآنية التي كانت لها علاقة وطيدة بالإيجاز وصفه عز و جل نساء الجنة قائلا :(كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ) الرحمن: 58. إذ يعتبر هذا الوصف تشبيها حسّيا، و إعجازا بيانيا لغويا، و مهارة فائقة في التعبير عن نساء الجنة، و الغرض من هذا التشبيه هو تبيان و تصوير الهيئة أو المظهر الخارجي بالتقريب بين صورتين متباعدتين، بين نساء الجنّة و بين الياقوت و المرجان، << **و الياقوت و المرجان، حجران كريمان، صافيان صفاء البلور، و لكنهما مع هذا الصفاء مشربان بحمرة، ليست في البلور، و لهذا كان تشبيه الحور بهن أبلغ و أصدق، لما يجري في بشرتهن من دم الشباب، الذي يشرق منه هذا الشعاع الشفقي على وجوههن** >>[3]. إن هذا التشبيه هو من باب تشبيه << **الشيء بالشيء لونا و حسنا** >>[4]. و قد حذف وجه الشبه في هذا التصوير القرآني البياني؛ لدلالة المشبه به عليه، و عليه يكون تشبيها مجملا ظهر طرفاه. ووجه الشبه << **هو المعنى الذي يشترك فيه المشبه و المشبه به تحقيقا أو تخييلا** و المراد بالتحقيق هاهنا أن يقرر **المعنى في كل من الطرفين على وجه التحقيق** >>[5]. فالقصد من هذا التشبيه هو تزيين المشبه بأوجز الألفاظ، و أدلها في صورة محببة و مغرية، تميل إليها النفوس البشرية، خاصة و أن التشبيه بلفظي الياقوت و المرجان تشبيه دقيق و أخاذ، و على هذا المعتمد البياني، فالتشبيه القرآني << **ليس عنصرا إضافيا في الجملة، فلم يرد لمجرد تزيينها بعد تمام معناها، و لكنه جزء أساسي لايتم المعنى بدونه ، فعمله في الجملة أنه يعطي الفكرة في صورة واضحة مؤثرة، فهو لايمضي إلى التشبيه كأنه عمل مقصود بذاته ، و لكن التشبيه يأتي ضرورة في الجملة ، يتطلبه المعنى ليصبح واضحا قويا** >>[6]. فحينما شبه الله عز و جل قاصرات الطرف باليواقيت و المرجان، أوحت هاتان اللفظتان بالتلألؤ و البهاء، و قمة الجاذبية و ذروة الجمال، وحسن الهيئة الخارجية.

فأكثر << **الغرض من التشبيه التخيل الذي يقوم مقام التصديق في الترهيب والترغيب و الخيال أقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة** >>[7]. و لعل ما نستخلصه من هذا التحليل : إن القرآن الكريم قصد من هذا التشبيه

1- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز/يحي بن حمزة العلوي/ج3/ص317.

2- ثلاث رسائل في إعجاز القرآني- في الدراسات القرآنية و النقد الأدبي-/الرماني و الخطابي و عبدالقاهر الجرجاني/حققها و علق عليها : محمد خلف الله- محمد زغلول سلام/دار المعارف : القاهرة/ط4/دت/ص76.

3- التفسير القرآني للقرآن/عبدالكريم الخطيب/دار الفكر العربي : القاهرة/دط/دت/مج7/ج27/ص694.

4- كتاب الصناعتين-الكتابة و الشعر-/أبو هلال العسكري/تحقيق : علي محمد البجاوي-محمد أبو الفضل إبراهيم/المكتبة العصرية : صيدا/دط/1406هـ-1986م/ص246.

5- علم الجمال اللغوي/محمود سليمان ياقوت/ج2/ص572.

6- بينات المعجزة الخالدة / حسن ضياء الدين عتر / دار النصر : سوريا / ط1 / 1395 هـ - 1975 م / ص 279 .

7- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان / ابن القيم الجوزية / دار الكتب العلمية : بيروت / د ط / د ت / ص 59 .

التجسيم للزيادة و المبالغة في التصوير و التأثير، بإقامة علاقة جديدة بين الذوات – قاصرات الطرف – و بين شيئين حسّيين – الياقوت و المرجان – مما أكسب الذوات جمالا حسّيا فائقا لايعلم كنهه إلا الخالق. فهو بهذا الوضع اللغوي القرآني عقد صلة بين المشبه و المشبه به، اللذان يعتبران ركنين أساسيين في هذه الجملة القرآنية – الآية –، و إذا كانت قاصرات الطرف – المشبه به – ركن رئيسي، فالمشبه به جاء لخدمته؛ لتكون الدلالة التخييلية معبرة عن الرقة و النعومة لوجود حسن الصفة المشبه بها، و التي مفادها كون قاصرات الطرف ذوات جاذبية و تلألأ منتزع من تلألأ الياقوت و المرجان. وهكذا << **نرى التشبيه يعمل على تمثيل الغائب حتى يصبح حاضرا، وتقريب البعيد النائي حتى يصير قريبا دانيا** >>[1] بإيجاز من غير إخلال بالمعنى. و من المواطن القرآنية التي رصدنا فيها الإيجاز كذلك قوله عز و جل : (وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدْهَامَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) الرحمن: 62- 65. ففي قوله عز و جل (مُدْهَامَّتَانِ) الرحمن: 64 .إيجاز بالحذف، قصد منه الانتباه و التركيز، بالاقتصار على ذكر هذه الصفة دون غيرها. و معنى (مُدْهَامَّتَانِ) أي << **خضروان تضرب خضرتهما إلى السواد** >>[2]. إذ حذف المسند إليه(جَنَّتَانِ)، لكون<< **الكلام الذي يحذف منه المسند إليه أصغر و أوجز من نظيره الذي يذكر فيه المسند إليه**>>[3]. و قد حذف المسند إليه لدلالة المسند عليه . فهذه الصفة (مُدْهَامَّتَانِ) متعلقة بما تقدمها من موصوف. و قد وقفنا على جملة من الأسباب التي اكتفت بها الآية بذكر المسند دون المسند إليه:

1- الاكتفاء بذكر المسند (مُدْهَامَّتَانِ) غرض بلاغي يكمن في العلاقة الوطيدة بينه و بين المسند إليه (جَنَّتَانِ) .

2- بغية الاختصار ، و لمراعاة الإيجاز في النظم .

3- المبالغة في تصوير المسند إليه .

و خلاصة القول :

جاء الإيجاز بالحذف في هذا الموضع؛ ليركز السامع على الكلمة المذكورة، لأهميتها في التصوير الفنّي، إذ ترسم بلونها مشهدا جميلا خلابا، تعجز المخيلة البشرية أن تدرك كل جزئياته. و رغم هذا فهي تملك قوة التأثير في الوجدان و العاطفة. وعليه فالإيجاز قيمة فنية تكمن في جعل المتأمل مركزا في الشيء المخبر به عن الشيء المحذوف المقدر.

1- بينات المعجزة الخالدة /حسن ضياء الدين عتر/ص 282 .

2- لسان العرب / ج2 / ص 1443 / مادة : دهم .

3- من سمات التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني-/ عبد الستار حسين زموط/ مطبعة الحسين الإسلامية : مصر/ ط1/1413 هـ – 1992 م/ص 114.

أما الإطناب ، فحقيقته اللغوية << الزيادة و المبالغة و أما حقيقته الصناعية فهو زيادة في اللفظ لتقوية المعنى >>[1]، و بمعنى آخر هو << تأدية المقصود من الكلام بأكثر من عبارة متعارف عليها >>[2]. وقد اجتمع الإيجاز في التصوير باللفظ بالإطناب في تفصيل جوانب النّعيم، إذ تجمعت لآيات النّعيم صور جديدة موجزة، اقتضاها المقام البلاغي، إذ جاءت لتفصيل ما أجمل عن نعيم الجنّة. و قد كان للألفاظ القرآنية دور في إضفاء جمال بياني تصويري، كان الغرض منه إمتاع الوجدان عن طريق الخيال، حيث توشى أسلوب العرض بألوان زاهية جميلة، متلألئة في مجموعة من الصور المتكاثفة و اللامتزاحمة. و هذه ميزة فنية تعبيرية للإعجاز البياني القرآني. فمن مزايا هذه الآيات كما ذكرنا التفصيل في تصوير الجنّات بالإعلام عما تحتويه من نعم حسّية ظاهرة، وجدت خصيصا لراحة أهل الجنّة.

و قد وقفت بنا الفقرة الأولى على مجموعة من الصور المترابطة، التي تعمل معا على إبراز المنظر العام لهاتين الجنتين، إذ يلوح جمالهما من خلال أغصانهما العظيمة المورقة و المتشعبة؛ أي من خلال قوله عز و جل : (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) الرحمن: 48. التي تدل دلالة واضحة على كثافة الأشجار، ولهذا استغنى التعبير عن ذكرها. لأن الأفنان هي التي << تورق وتمد الظل >>[3]. إضافة إلى هذا المنظر الجميل و الأخاذ، فلاشئ يناسب هاتين الجنتين، في هذا المقام التصويري الذي أبدعت يد الخالق في إخراجه في كلمات مؤلفة؛ أكثر مما تناسبه العين الجارية. فهكذا اقتضت إرادة الخالق رحمة بعباده و ترجمانا صادقا لآلائه التي ربما يجرأ من يجهل هذا النعيم على التكذيب به. فالعينان الجاريتان كما أخبرت الآية (فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) الرحمن:50. ليستا من المكملات، بل من الضروريات؛ لأنها تلقي في الذهن حقيقة ثابتة، و هي أن الماء عنصر أساسي للوجود حتى في الآخرة. و قد استمدت الصورة جماليتها من كملة (تَجْرِيَانِ) التي تعتبر مع بساطتها صفة تصويرية، تدل على كون العينين غير منقطعتين، فهما دائمتا الجريان، و بهذا أيضا، ترتسم صورة الحياة في الاخضرار و في الظل و في الثمار. و تفيد الآية الموالية إغراء آخر (فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ) الرحمن: 52. هذا الإغراء يدع النفس مولعة و متطلعة لمعرفة أنواع و أجناس هذه الفواكه ، التي لايعلم بها إلا الخالق سبحانه وتعالى و التي تعتبر من الملذات الذوقية المتعلقة بالحسّ. و قد أخر في هذا المقام التصويري (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) الرحمن: 54. فلاشئ يسعد المنّعم مثل أن يكون متكئا على فرش بطائنها من الديباج الحريري المنسوج بخيوط من الذهب، ويقدم له ما لذ و طاب من الفواكه – فواكه الجنّة –، فمن آلاء الله عز و جل أن يكون هذا الجنى في متناوله. إن هذه التعابير القرآنية تفصح بجلاء عن سحر هاتين الجنّتين، حيث

1- الفوئد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان/ابن القيم الجوزية/ص107.

2- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز/يحي بن حمزة العلوي/ج3/ص318.

3- تفسير أبي السعود/ أبو السعود / ج8 / ص 184 .

رسم التصوير القرآني بالعبارات المؤلفة من كلمات عربية صورا موجزة، باللون و الظل معا، متناسبة مع (فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) و يجتمع النّعيم الحسّي بالنّعيم المعنوي في الآيات التصويرية في قوله عز و جل:(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) الرحمن:56- 59. فالمرأة البكر نعمة أخرى تضاف إلى هذه النعم الحسية المرئية و الذوقية، فهي تدخل البهجة على الرجل، فتكمل سعادته النفسية بجمالها الذي يقارب جمال الياقوت والمرجان.

و هاتان جنّتان أخريان وعدهما الله عز و جل لعباده المؤمنين الخائفين. قال عز و جل : (وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ) الرحمن 62. أي من دون الجنّتين السابقتين جنّتان أخريان. و قد كان للفظ (مُدْهَامَّتَانِ) الرحمن 64. تصويرذو دلالة جمالية رائعة؛ تعني أن الجنّتين خضروان << **تضرب خضرتهما إلى السواد** >>[1]. و هذا من بين فنون التصوير باللون في أيات النّعيم الأخروي. و في قوله عز و جل : (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) الرحمن: 66. يرسم اللفظ (نَضَّاخَتَانِ) صورة جميلة أخاذة، بالغة الحسن، فالنضخ حركة تعبر عن << **شدة فور الماء في جيشانه و انفجاره من ينبوعه** >> [2]. و في قوله عز و جل :(فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) الرحمن: 68. إخبار آخر عن نعيم أهل الجنّة؛ و في هذا الحسن توجد الفواكه و النخل و الرمان، التي تعبر عن أن اللذة الذوقية قانون ثابت لأهل الجنّة، فهي من الضروريات و من المكملات التي لايتم النّعيم إلا بها. أما في قوله : (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۞ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) الرحمن: 72-74. نلمح تكرارا في الإخبار ثانية عن نساء الجنّة ، وعن عدم طمثهن من قبل الإنس و الجان؛ مراعاة لما تميل إليه نفوس الرجال. و هذه أيضا من بين أساليب الترغيب، و أس مكين من آلاء الله عز و جل على عباده في الجنّة، و مما لاشك فيه أن وصف نساء الجنّة له قيمة إبلاغية؛ إذ لا تكتمل السعادة النفسية إلا بحضرة هؤلاء النسوة اللائي تتميزن بأحسن ما أبدعته يد الخالق سبحانه و تعالى. ثم ينتقل التعبير لوصف حال أهل هاتين الجنّتين في هذا المقطع التصويري الأخير (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) الرحمن :76. فهؤلاء هنا يجلسون جلسة الترف على رفرف خضر و عبقري حسان أي على << **ضرب من البسط ...يغلب عليها اللون الأخضر** >>[3]. و بهذا الإخبار التصويري تتحد هاتان الصورتان مع الجنّتين في لون الخضرة.

نصل من كل هذا التحليل الموجز إلى أن كل مافي الجنّات جديد، تعجزالمخيلة على إدراكه، رغم الإخبار عنه بألفاظ عربية متداولة. و هذا من بين أسرار الإعجاز البياني القرآني.

1- لسان العرب/ ج 2/ ص 1443 / مادة : دهم .

2- المصدر نفسه/ ج6/ ص 4452/مادة : نضخ .

3- تفسير التحرير و التنوير/ج 27 / ص 274 .

و من الملاحظات الهامة المستخلصة أيضا أن << **الكلم القرآني يتجه إلى العقل و الفكر و النفس و الوجدان، فيبعث في الخيال الإنساني صورا حية تخاطب الحواس بكل مايلائمها من عناصر الطبيعة و الحياة، فتترك في الأفكار و الضمائر تأثرات و انفعالات قوية تشحذ نوازع الخير في الفكر و الوجدان و الإرادة، لتبين المضمون القرآني عقيدة و عبادة و خلقا و تشريعا** >>[1].

إضافة إلى هذا تجلى التقابل في هذا النّص التصويري الفنّي بين مجموعة من العبارات التصويرية، حتى و كأننا نجزم من أن هذه الجنّات الأربع جنّة واحدة :

- فـ (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) تقابلها (مُدْهَامَّتَانِ)، وكلتاهما تتميزان بوحدة اللون تناسبا و الجنّات.
- و (عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) تقابلها (عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) و كلتاهما تعبران عن استمرارية و تكرار جريان الماء.
- (فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ) تقابل (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ) .
- (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ) تقابلها (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ) وكلها تصور نساء الجنّة.
- (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) يقابلها (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) و كلتاهما تصوران مجالس أهل النّعيم.

إن هذا التقابل هو من باب تقابل صور حاضرة بصور أخرى حاضرة؛ حيث تتقابل العبارات التصويرية و الألفاظ المعبرة و المنتهية إلى الإخبار عن حقيقة واحدة هي أن نعم الله الأخروية لا تحدها حدود. زيادة على ما في هذه الآيات من <<**جمال طبيعي يغري الخيال بالجولان، و يملي للخواطر في الهيمان**>>[2].

نصل من خلال هذا التحليل إلى بعض ما ذكره علماء البلاغة عن الإيجاز و الإطناب، اللذان يعتبران << **من أعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب سر الفصاحة عن بعضهم أنه قال البلاغة هي الإيجاز و الإطناب** >>[3].

2- لمسنا من الإطناب جانبا جماليا يتمثل في حسن توزيع هذه الصور على الرقعة المخصصة لها دون تزاحم، و قد عبرت كل جملة قرآنية عن مضامينها من موضعها، من أعلى القمم التعبيرية. و قد كانت لها قيمة عظيمة في النص؛ إذ عملت كلها لتشغيل المخيلة بصور جميلة ورائعة.

1- بينات المعجزة الخالدة/ حسن ضياء الدين عتر/ ص 283 .

2- التصوير الفني في القرآن/ ص 70.

3- الإتقان في علوم القرآن/ أبو بكر الباقلاني- جلال الدين السيوطي/ دار المعرفة : بيروت/د ط/دت/ ج2/ ص 69.

3- جاء الإطناب مناسبا للغرض التصويري << **لكون المقام خليقا بالبسط** >>[1]. و لكون الإطناب في حد ذاته << **بمنزلة سلوك طريق بعيدة تحتوي على زيادة فائدة بما تأخذ النفس منه من اللذة** >>[2].

و خلاصة القول من هذا كله :

صور القرآن الكريم بعباراته القرآنية أروع ما تكون عليه الآخرة؛ في جانبيها العذاب و النّعيم. حيث أفادت إفادة تامة بتقريرها حقائق متعددة. ففي آية واحدة، استطعنا ملاحظة روعة التصوير و حسن الإخراج و صدق الجمال. فكل ماتتصف به عبارات القرآن في آيات العذاب و النّعيم فصاحتها و تآلفها في كل نظم من نظومها المختلفة. حيث بدت آخذة بعضها برقاب بعض، في مشاهد تصويرية مدهشة، ذات إيحاءات مختلفة وواسعة وهامة. علاوة على هذا اتصفت آيات العذاب بصفة الفخامة، في حين اتصفت آيات النّعيم بصفة العذوبة، فكان <<**اجتماع الأمرين في نظمه فضيلة خص بها القرآن بلطيف قدرته وعميق علمه** >>[3]. مما يسمح لنا إلى حد ما برصد مكمن الإعجاز المتمثل في اختلاف درجة التأثير من آيات العذاب إلىآيات النّعيم .فآيات العذا ب هي التي تضمنت وحوت تصوير العذاب بوسائله وشخصياته وزمكانيته. ورغم ما صورته من أهوال لاطاقة للمعذب بها. فقد حازت على جانب المتعة الفنية، مما جعلها تبلغ الذروة في جعل المتأمل في حالة من الذعر، تلفحه نيران الآخرة عن بُعد ! أما آيات النّعيم فهي الآيات التي تضمنت و حوت تصوير النّعيم بشخصياته و زمكانياته. و بهذا حازت مرتبة عليا في التفنن في التركيب و الوضوح. بالإضافة إلى قوة التأثير والإثارة. فقد كانت راقية في اختيار ألفاظها و دقيقة في الربط بينها في إطار جامع و على هذا الأساس فالعبارة القرآنية بمفرداتها في آيات العذاب و النّعيم << **تدع القارئ ينصهر في جوها كلما أمعن التدبر**>>[4]. و خير ما توصف به هذه العبارات أنها << **محكمة في بناء قد أحكمت لبناته ، ونسقت أدق تنسيق ، لاتحس فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تنبو عن موضعها، أو لا تتعايش مع أخواتها** >>[5].

1- الإتقان في علوم القرآن/أبو بكر الباقلاني-جلال الدين السيوطي/ج2/ص70.

2- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان/ابن القيم الجوزية/ص108.

3- بينات المعجزة الخالدة / حسن ضياء الدين عتر / ص 249 - 250.

4- الإعجاز الفني في القرآن / عمرالسلامي / ص 109 .

5- بلاغة الكلمة و الجملة و الجمل / منير سلطان / ص 107 .

نصل من دراسة هذا الفصل بشقيه - اللفظ و العبارة - إلى :

1-التصوير الفني هو الأداة المفضلة في آيات العذاب و النعيم على السواء.

2-الصورة في آيات العذاب و النعيم هي في بعض منها تشبيه و استعارة و كناية، و في بعض منها صورة خالية من هذه العلاقات المجازية. و عمدتها الأساسية هي اللفظ المستثير للخيال، و الهادف للتأثير في الوجدان،بإمتاعه، والتأثير في العقل بإقناعه، و هذا ضمن التراكيب الجملية.

3-التعبير في آيات العذاب و النعيم هو تصوير تخييلي حسي. و رغم هذا يخرج التصوير من مجرد الدلالات الحسية إلى الدلالات المعنوية بواسطة الإيحاء. و هذا يعني أن النفس هي الهدف المقصود من كل هذه الإبلاغات القرآنية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني :

الحوار في آيات العذاب و النّعيم بين الوحدة الموضوعية و التصوير النفسي.

المبحث الأول :

الحوار الذاتي.

المبحث الثاني :

الحوار الجماعي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحوار لغة و اصطلاحا.

الحوار لغة من :

1- << .... حاورت فلانا محاورة وحوارا وحويرا، إذا كلمك فأجبته >>[1].

2- ومن << وكلمته فما رجع إليّ حوارا وحوارا ومحاورة وحويرا ... وأحار عليه حوابه: رده، وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة....والمحاورة : المجاوبة...وهم يتحاورون:أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة >>[2].

3- << ... وحاورته راجعته الكلام وتحاور وأحار الرجل الجواب بالألف رده وما أحاره ما رده >>[3].

4- << والمحاورة...الجواب.... ومراجعة النطق وتحاوروا : تراجعوا الكلام بينهم >>[4].

5 -<< حاور يحاور محاورة وحوارا : 1 ... جاوبه -2- ... جادله >>[5].

نصل من خلال هذا العرض لمختلف ما جاء في هذه المعاجم اللغوية أنها تتفق جميعا في المعنى اللغوي لكلمة حوار؛ التي تعني المراجعة والمجاوبة الكلامية بين طرفين، أو مجموعة من الأطراف.

أما من الناحية الاصطلاحية، فالحوار لا يختلف كثيرا عما جاء في هذه المعاجم اللغوية، وعليه :

<< فالحوار، والمحاورة، والمحادثة، مصطلحات تدل عموما على تناوب الكلام بين شخصين أو أكثر، حول موضوع يفترض فيه الأخذ والرد توصلا إلى إكفاء حاجة وبلوغ غاية >>[6].

والحوار ليس هو الطريقة الوحيدة للتواصل بين المتحاورين، فمعه يأتي أسلوب آخر من الكلام وهو الجدل، فما الفرق بينهما؟

يتحدد الفرق بين الحوار والجدل بعد التعريف اللغوي والاصطلاحي لهذا الأخير، فالجدل من :

1- << الجَدل : مصدر جدلت الحبل أجدلُه وأجدِله، إذا فتلته، ... وجادلت الرجل مجادلة وجدالا، إذا خاصمته، والاسم الجَدَل، ورجل جدل : شديد الجدال >>[7].

1- جمهرة اللغة/ابن دريد/حققه : رمزي منير بعلبكي/دار العلم للملايين: بيروت/ط1/1987م/ج1/ص525/مادة: ح و ر.

2- لسان العرب/ابن منظور/ج2/ص1043/مادة: ح و ر.

3- كتاب المصباح المنيرفي غريب الشرح الكبير للرافعي/أحمد بن محمد بن علي/دار القلم:بيروت/دط/دت/ج1/ص214/ مادة: ح و ر.

4- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير و أساس البلاغة/تصنيف و إعداد: الطاهر أحمد الزواي/دار الفكر: دمشق/ط3/دت/ج2/ص735/مادة: ح و ر.

5- المعجم العربي الأساسي/تأليف و إعداد: جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم: لاروس/دط/دت/ص362/مادة: ح و ر.

6- المعجم المفصل في اللغة و الأدب/ميشال عاصي-إميل بديع يعقوب/دار العلم للملايين: بيروت/ط1/1987م/ج1/ص587/باب الحاء.

7- جمهرة اللغة/ج1/ص448/مادة: ج د ل.

2- << **جدل الرجل جدلا فهو جدل...إذا اشتدت خصومته، وجادل مجادلة وجدالا إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب هذا أصله** >>[1].

3- << **والجدل محركة : - اللدد في الخصومة، والقدرة عليها** >>[2].

من خلال هذه التعاريف المعجمية، نلاحظ أهل اللغة قد أجمعوا على أن كلمة جدل تدل على معاني<< **...الحوار الذي يعيش في أجواء الخلاف** >>[3]. إلا أن الحوار هو أوسع من الجدل، فلفظ الجدل << **محصور لغة واستعمالا في لفظ الخصومة أو للدلالة على غير المرغوب فيه، وليس الميسور التوسع في مدلوله واستعماله، أما لفظ التحاور فمع دلالته على المراجعة، يمكن التوسع فيه للدلالة على موقف الخصومة وموقف غير الخصومة. مادام كلا الطرفين يراجع الآخر بكلام ومنطق** >>[4].

أما الجدل في الاصطلاح، فهو لا يختلف كثيرا عما جاء في التعريف اللغوي. فهو يعني << **...النقاش الذي يحتدم حول مسألة ما ...** >>[5].

بعد هذا العرض لكلمتي حوار وجدل . يجدر بنا أن نطرح هذا السؤال :

هل اقتصرت آيات العذاب والنّعيم في القرآن الكريم على الحوار بين الشخصيات أم أن للجدل أيضا شخصياته وموضوعاته؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، يجدر بنا أن نمر إلى تعريف مصطلح " الوحدة الموضوعية ".

يتركب مصطلح " الوحدة الموضوعية " من كلمتين : وحدة وموضوع، فمعنى كلمة وحدة أن يكون << **الشيء بحيث لا ينقسم ويراد بها عدم التجزئة والانقسام** >>[6]،أما كلمة موضوع فهو كل << **... ما بحث فيه عن عوارضه الذاتية كجسم الإنسان بالنسبة لعلم الطب** >>[7]. أما الوحدة الموضوعية << **كمركب وصفي فمعناها : اتحاد الموضوع الذي ذكر متناثرا وأنه لا تباين فيه ولا اختلاف بل يؤلف وحدة موضوعية له كاملة ...** >>[8].

أما المراد بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم هو << **البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في سوره المختلفة ليظهر ما فيها من معان خاصة تتعلق بالموضوع العام الذي نبحثه ...** >>[9].

1- كتاب المصباح المنير/ أحمد بن محمد بن علي/ ج1/ ص 128/ باب الجيم مع الدال وما يثلثهما/ مادة : جـ د ل.

2- ترتيب القاموس المحيط / إعداد : الطاهر أحمد الزاوي/ ج1/ ص 459/ مادة : جـ د ل.

3- الحوار في القرآن/ محمد حسين فضل الله/ دار المنصوري : الجزائر/ د ط/ دت/ ج1/ ص 15.

4- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم/ عبد الحليم حفني/ الهيئة المصرية العامة للكتاب : مصر/ ط2/ 1985م/ ص14.

5- قاموس المصطلحا ت اللغوية والأدبية - عربي - انكليزي - فرنسي/ إميل يعقوب، بسام بركة، مي شيخاني /دار العلم للملايين: بيروت/ط1/1987م/ باب الجيم/ ص 164.

6- الوحدة الموضوعية في القرآن/ محمد محمود حجازي/ مطبعة المدني : القاهرة/ 1390 هـ -1970م/ دط/ دت/ ص 32.

7- المصدر نفسه/ ص 33.

8- المصدر نفسه/ ص ن.

9- المصدر نفسه / ص33-34.

وقد تراءى لنا أثناء البحث أن هناك محاورات كثيرة في هيكل آيات العذاب والنّعيم، متنوعة في موضوعاتها وأحداثها، ووفقا لمفهوم الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، فالسؤال المطروح :

ماهي هذه المحاورات ؟

وهل توجد وحدة موضوعية بينها؟

وما أثر الوحدة الموضوعية في التصوير النفسي في آيات العذاب والنّعيم في القرآن الكريم ؟.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :

الحـــــــوار الـــــذاتـــــــي.

اتفق أهل اللغة والأدب على أن الحوار << **... لا يكون حوارا إلا إذا كان بين اثنين فأكثر، فهذا أول شرط من شروط الحوار** >>[1]. في الوقت ذاته نجد مصطلحا آخر شائعا- خاصة - في كتب الأدب بقسميه؛ فن القصة وفن المسرحية . هذا المصطلح هو الحوار الذاتي أو المونولوج، وقد عرفه أهل الاصطلاح : << **هو ذلك الحوار الذي يحدث داخل النفس البشرية بين الإنسان وذاته** >>[2]، إذ أن من بديهيات الحياة أن الإنسان يلجأ الى الحوار الذاتي، في الوقت الذي يكون فيه خاليا مع نفسه، فمعاودته للكلام في داخلياته لا تعد ولا تحصى. ومن هذا فا << **المتكلم والسامع منسجمان في شخص واحد ويمكن أن يقال عنه أنه يوصل الأفكار إلى نفسه** >>[3]. ويرجع هذا إلى << **النفس الباطنة، وهي قدرة النفس على أن تحتوي داخلها أشياء وأن تتحدث داخليا بكلام غير مسموع إلا لها، أنها مستودع سر الإنسان الذي يكتمه عن الآخرين، وموطن المناجاة المهمومة داخليا** >>[4].

وإذا كان النقاد في دراساتهم، قد أولوا هذا الجانب اهتماما، وكشفوا عن مظانه في إنتاج الأدباء والشعراء، فهل نجد في آيات العذاب والنعيم بعضا من صور الحوار الذاتي ؟.

إن الآيات القرآنية الكريمة، التي بين أيدينا- على قلتها- تعرض مشاهد للإنسان، وهو يحاور نفسه، وسبب اختيارنا لهذه الطائفة، هو ذلك التنوع والترابط في موضوعات الحوار الذاتي، في صوره وتعابيره، هذا من جهة. ومن جهة ثانية، فإنها تطلعنا على خفايا النفس البشرية في الآخرة؛ إذ تتجلى الصور الأولى في هذا النّص القرآني : قال عزوجل :

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۞ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾

الفرقان :26-29.

من المشهور عند علماء التفسير أن الظالم الذي نزلت فيه هذه الآيات << **هو عقبة بن أبي معيط، وأن فلانا الذي أضله عن الذكر أمية بن خلف، أو أخوه أبي بن خلف ...** >> [5] ولأن العلماء يؤكدون على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، << **فكل ظالم أطاع خليله في الكفر حتى مات على ذلك يجري له مثل ما**

1- كتاب الهلال/ عنوان المقال : في الديالوج والمونولوج / لويس عوض/ ع 206/ صفر 1399 هـ - مايو 1968م/ سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال : مصر/ ص 209.

2- أحمد شوقي والمسرح الكلاسيكي الفرنسي - دراسة مقارنة-/ سميرة شبال/ مخطوط رسالة ماجيستير/ معهد اللغة والأدب العربي/ جامعة الجزائر/ 1992-1993م/ ص 214.

3- محاضرات في علم النفس اللغوي/ حنفي بن عيسى/ ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب/ د ط/ دت/ ص 67.

4- نصوص قرآنية في النفس الإنسانية/ عز الدين إسماعيل/ دار النهضة العربية : بيروت/ د ط/ دت/ ص 168.

5- تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ محمد الأمين الشنقيطي/ مطبعة المدني- المؤسسة السعودية : مصر / د ط/ دت/ ج6/ ص 313.

جرى لابن أبي معيط>>[1] ولأن هذا الأخير، وكل من حذا حذوه في الضلالة والإضلال، هم الموضوع الرئيسي في هذا النص القرآني الكريم، فما هي المحطات الماضية التي وقف عندها الظالم لنفسه، والتي تشكل معا وحدة موضوعية ؟

يعرض النص القرآني صورة العض على اليدين، في قوله عزوجل : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) الفرقان : 27.هذه الصورة المعبرة عن جملة من << **الالتهابات الوجدانية المحرقة** >>[2] تدل على جو نفسي قاتم، عبر الظالم في إطاره عما يحسه بالفعل والكلمة معا. وقد كانت أسبقية الفعل على الكلمة كاستهلال تمهيدي دال على حالة نفسية جلية؛ ألا وهي الندم، إذ يفصح بكل التعابير الكافية عن أسباب الخسارة الفادحة التي لحقت به لما اختار في دنياه طريق الضلالة والكفر، وفضلهما على طريق الإيمان والتصديق بما دعا إليه الرسول، إذ كانت الجملة الأساسية في الاعتراف الأول؛ هي الابتعاد عن سبيل الرسول ، قال تعالى (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) الفرقان: 27. وليس هذا حسب، بل اتخذ من الناس خليلا أعانه على السير مغلق العينين عن الحق، إذ زين له طريق الضلالة، وفرشها له ورودا ! ولأنه وقف على الحقيقة المرة، هاهو في هذا المشهد القرآني يبكي ماضيا تافها، تجسدت صورته في الموضوع الثاني والثالث من الحوار الذاتي، في هاتين الآيتين، أو في قوله: (يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) الفرقان 28-29. ولعل السؤال الجدير بالطرح، هو لماذا انتقل التعبير القرآني من الحديث عن فلان الخليل، إلى التعقيب بهذه الجملة القرآنية : (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا)الفرقان:29.

إن الفكرة الأساسية التي توحي بها هذه الجملة القرآنية أن فلانا الخليل شيطان في جوهره؛ لأن عملية الإضلال لا يقوم بها إلا كل عات متمرد من شياطين الجان، وبهذا يلتقي الإنسان الخليل بالشيطان في صفة ملازمة لهذا الأخير؛ وهي الشيطنة بكل سلبياتها واتجاهاتها الفكريةالوخيمة.

وخلاصة القول :

إن مقدمة هذا الحوار الذاتي –المتمثلة في العض على اليدين– ووسطه وخاتمته –جملة الاعترافات– تلتقي كلها في نقطة واحدة، وفكرة أساسية، إذ تشكل وحدة موضوعية، خلاصتها أن جزاء الضلالة والإضلال في الآخرة هي النار، و << **أن كل علاقة تقوم بين اثنين على غير رضا الله ومحبته هي وبال على الاثنين معا** >>[3] ولأن القرآن الكريم واضح في أغراضه من هذه الاعترافات، فإن اعتراف الجاني كما يقال : سيد الأدلة.

ونحاول الآن من خلال هذا العرض الأول، أن نعرج إلى هذا السؤال : هل تسير آيات الحوار الذاتي كلها في هذا المنحى النفسي– الندم– أم لا ؟

1- تتمة أضواء البيان/الشنقيطي/ج6/ص313.

2- محاورات اليوم السابع – دراسات عن مصر في الأدب العربي الحديث- / غالي شكري/ دار الطليعة : بيروت/ ط1/ 1980م/ ص 173.

3- مجلة الأزهر/ عنوان المقال : أهل النار يختصمون/ علي محمد حسن العماري/ ع1/ س، مج22/ 1950م/ مطبعة الأزهر : مصر/ ص 53.

إن الإجابة عن هذا السؤال تتحدد من خلال محتويات النصوص القرآنية، ودلالتها النفسية التي ترمي إليها. وأول هذه النصوص، قوله عزوجل :

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

الزمر : 55-58 .

يعرض النص مشهدا آخر من مشاهد الندم، بكل ما ترمي إليه هذه الكلمة من معان شعورية عميقة. إذ يكشف عن حوار ذاتي، يعتبر امتدادا للحوار السابق.ففي الآية الأولى، يأتي التحذير صريحا بهذه الصيغة؛ (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) الزمر :56. هذا التحذير، هو في الوقت ذاته تعبير ذاتي عن الألم الرئيسي الذي يعيشه المحاور لنفسه؛ إذ يكمن أساسا في جانب التفريط في جنب الله، ومن هذا تستمد المأساة ألوانها القاتمة في جملة من الاعترافات أولها قول الجاني (وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ)الزمر :56. هذه الجملة هي <<**خبر مستعمل في إنشاء الندامة على ما فاتها من قبول ما جاء به الرسول من الهدى فكانت تسخر منه، والجملة حال من فاعل فرطت، أي فرطت في جنب الله تفريط الساخر تفريط الغافل ...** >>[1].

أما ثانيها، فقوله (لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)الزمر:57 فالجاني في هذا الموقف يتمنى على الله عزوجل الأماني، لو هداه وهذا << **قصد الاعتذار والتنصل** >>[2] من تبعية الجزاء.

ولأنه في دوامة كبيرة من الأفكار، هاهو يعلن عن أمنية غير ممكن تحققها؛ ألا وهي الرجوع إلى الدنيا لعمل الصالح، ومن ثمّ الإحسان، وذلك ما عبر عنه، بقوله :(لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) الزمر 58.

وخلاصة القول :

يتضح من خلال هذا العرض لمختلف الأفكار والمشاعر والآلام العلاقة بين الحوارين الذاتيين، تكمن أساسا في ندم المحاور لنفسه، بسبب ابتعاده عن طريق الحق؛ وهو طريق الرسول، وطريق الرسول هو إفراد الله عزوجل بالعبودية الحقة. ومن هنا تبدو الوحدة الموضوعية على مستوى النصين جلية؛ ويبدو المنحنى النفسي الخط الوحيد الذي تسير عليه الآيات.

وعلى هذا الأساس، إذا كانت الوحدة الموضوعية بين الآيات السابقة تكمن في جانب التفريط في حق الله عزوجل، والولاء لغيره فهل يقف عند هذا الحد؟ أم أن هناك من النصوص القرآنية التي تحتوي تفاصيل أخرى عن وجه آخر للتفريط ؟

1- تفسير التحرير والتنوير / مج (22-24) ج24/ ص46.

2- المصدر نفسه/ ص47.

إن الإجابة عن هذا السؤال ممكنة، قال الله عزوجل :

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾

الحاقة : 25-29.

إن الشخصية التي تحاور نفسها الآن، تعبر عن هذيان، وعن أمنية لا سبيل إلى تحققها، << **إنه طلب الموت فما وجده ... وطلب ماله ليفتدي به نفسه من هذا العذاب، فما رآه. واستنجد بكل ما كان له من قوة، وجاه وسلطان، فلم يسعفه شيء...** >>[1]. و من هذا الحوار الذاتي تبدو شخصية أخرى، و يلوح لنا الجزء الغائب من النفسيات و العقليات، التي تعيش زمن التوجع أمام معطيات الحاضر الجديد،الحاضر الأسود!

ويمضي الحوار الذاتي في آيات العذاب ليفصح عن شخصيتين أخريتين، لا تملكان أي رد فعل آخر، أمام الحقيقة الإلهية، التي حذرت من اتباع سبيل الهوى، واعتبار الدنيا هي المحطة الأولى والأخيرة لكل الآدميين، فمن خلال الآيتين المتبقيتين، تتضح صورتان لحوارين قصيرين، إذ يبدو الاعتراف الأول الموحي بكل العلامات الدالة على الفشل، في هذه الآية القرآنية :

﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾

النبـــأ :30.

إن هذه الأمنية << **تعبير يلقي ظلا للرهبة والندم، حتى ليتمنى الكائن الإنساني أن ينعدم ويصير إلى عنصر مهمل زهيد، فذلك خير من المواجهة في هذا الموقف الشديد** >>[2].

وتأتينا الآية الأخيرة في قمة الإيجاز كذلك، لكنها تحمل في طياتها كل معاني الألم والندم والحسرة، قال تعالى:

﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۞ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾

الفجر : 23-24 .

إن آية الفجر هذه، هي خاتمة المشاهد الحوارية كلها، فإذا كانت الشخصية الأولى هي شخصية الظالم لنفسه، والثانية شخصية النفس المشركة، والثالثة الشخصية التي أوتيت كتابها بشمالها، والرابعة هي شخصية الكافر، فإن الخامسة هي شخصية الإنسان، وليس هو فحسب رمزا للنسيان، فكل هذه الشخصيات تمثل النسيان في أوسع مجالاته. ولأجل هذه الميزة، تبدو الوحدة الموضوعية جلية في صورة التفريط في جنب الله، رغم اختلاف الأسباب والمسببات.

1- التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب / مج8/ ج29/ ص 1144.

2- مشاهد القيامة في القرآن/ ص 222.

وخلاصة القول :

اقتصر الحوار الذاتي على آيات العذاب دون آيات النّعيم – إذ لم يتيسر لنا خلال القراءة والجمع إيجاد آيات النّعيم المقابلة لآيات العذاب في هذا المجال.

إضافة إلى هذا، فإن من سمات الحوار الذاتي قدرته على تصوير الشخصيات المنفعلة، التي شاركت في تحقق الوحدة الموضوعية؛ من خلال حواراتها الذاتية التي تشبه إلى حد كبير سيرة ذاتية كشفت فيها عن أجزاء هامة من حياتها الماضية، وما اقترفته من ذنوب كانت كافية لإصدار الحكم عليها.

وقد تجسدت << **النفسية الهروبية** >>[1] في شخصيات الحوار الذاتي، مخافة المآل الذي آلت إليه بسبب التفريط. وكانت هناك مقابلة بين صور الماضي وصور الحاضر، فمن خلال صور الماضي ، قدمت الشخصيات أدلة ضلالاتها، ومن خلال صور الحاضر، أعلنت عن نتائج الإفلاس. ولهذه الأسباب كان << **الإحباط هو بؤرة المعاناة** >>[2]، الذي جسدته الشخصيات في لونين من ألوان الحوار؛ حوار مديد، وحوار قصير.وكلها تندرج تحت عنوان كبير، هو فن المأساة في الحوار الذاتي. فمن خلال النصوص القرآنية، تجلت جملة معقدة من الانفعالات؛ منها انفعال الألم، والخوف، والطمع، والندم، حيث شكلت – هذه الانفعالات – الصورة النهائية لأنفس جديدة، ولدت من عمق المحنة الجديدة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- مجلة البيان / عنوان المقال : لمحات في الحوار – أساليب الحوار –/ محمد محمد بدري/ ع88/ذو الحجة 1415 هـ –مايو1995م/ المنتدى الاسلامي : لندن / ص 45.

2- محاورات اليوم السابع / غالي شكري/ ص 161.

المبحث الثاني :

الحـــوار الـجمـــاعـــي.

1- حـــوار أهـــل النـــار :

جاءت حوارات أهل النار في عدة سور قرآنية منها :

سورة البقرة : 166-167/ الأعراف : 52-53/ إبراهيم : 21/ النحل : 86-87/ طه : 102-104/ الشعراء : 92-102/ سبأ : 31-33/ الصافات : 27-32/ ص : 59-64.

وقد تنوعت موضوعاتها، وتنوعت لغتها الخطابية، إذ جاءت لتعالج موضوعا خطير الأهمية؛ ألا وهو موضوع التبعية العمياء، التي شنعت بها، وبنتائجها السلبية، وبشخصياتها المتلاومة.

ومن بين النصوص التي عالجت هذا الموضوع الذي يعتبر حديث الساعة يوم القيامة بين الأتباع والمتبوعين، قوله عزوجل:

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾

إبراهيم : 21.

ففي هذا النص القرآني يؤكد الضعفاء تبعيتهم للذين استكبروا طالبين منهم أن يتحملوا قليلا من العذاب. وبذات النفسية الهروبية، يجيب المتبوعون قائلين : (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ)، مؤكدين أن الهداية شرط أساسي للاستقامة في الدنيا، والنجاة في الآخرة، ثم يستدركون عليها بجملة اعتراف، بعد ما لم يجدوا حلا ينجيهم من العذاب الواقع بهم، هذه الجملة هي قولهم : (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ)، وبهذه المواساة الجماعية، يعتبر هذا الحوار صورة أخرى من صور التراجيديا الإنسانية الضالة، أو صورة من صور التفريط في جنب الله.

وفي قوله عزوجل :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

سبا 31-33.

يخاطب الله عزوجل النبي صلى الله عليه وسلم وكل من << **يصلح لتلقي الخطاب ممن تبلغه هذه الآية** ... >>[1] واصفا الظالمين في عذاب نفسي شديد، وغير محتمل، إذ كشفت المراجعة الكلامية عن قلوب متباعدة، ونفوس مليئة بالحقد، فكل طرف يرى في الآخر عدوه اللدود!

وقد بدأ الحوار الطرف المستضعف متهما الطرف المستكبر؛ بأنه سبب مأساته في هذا الموقف الصعب، مؤكدا هذا بقوله : (لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)سبأ : 31. أي لولا أنتم أيها المستكبرون لكنا مؤمنين، موحدين لله عزوجل. ولأن التهمة باطلة في نظر المتهمين المخاطبين، فقد ردوا ادعاءهم بنفي مطلق في كونهم سببا كافيا لإضلالهم بعد مجيء الحق والهدى بكثيرمن الاستخفاف (أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ) سبأ : 31. وبهذا الرد يعزون سبب الكفر لاستعدادهم للإجرام، ويؤكدونه بقولهم الحاد : (بَل كُنتُم مُّجْرِمِينَ)سبأ : 32 . ولأن الموقف موقف الخصومة العنيفة، وتبادل الاتهامات القاسية، يواصل المستضعفون الدفاع عن أنفسهم بإلصاق تهمة ضلالهم بالمستكبرين، كاشفين عن صور من صور إغوائهم لهم، بهذه الجملة : (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا) سبأ : 33 . و بهذا ينغلق باب الحوار في هذه المحطة.

ويعرض النص الثالث جانبا من جوانب التخاصم أيضا بين التابعين والمتبوعين، قال عزوجل :

﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۝ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ۝ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ۝ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾

ص 59-64.

فرغم أن الصورة واحدة؛ وهي صورة للتخاصم، وللعداوة، فإن الحوار في هذا النص متنوع الموضوعات؛ لتنوع الأحداث، فالآية الأولى (هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ) ص: 59. تعرض صورتهم. وهم في حالة عذاب شديد؛ في حالة اقتحام، ومعناه << **الإلقاء في الشيء بشدة فإنهم يضربون بمقامع من حديد يقتحمونها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع** >>[2]. ولأن اقتحام الفوج لم يكن أمرا مفرحا للمتبوعين، فقد عبرت مجاوبتهم عن غيظ شديد، برفع أصواتهم بالدعاء على التابعين؛ فهذه الجملة (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) ص:59. ومعنى (لَا مَرْحَبًا) << **لا اتسعت منازلهم في النّار** >>[3]. فالموقف إذن، لا يسمح بالترحيب بهم، ولا بتهنئتهم؛ على أساس أن النّار ليست مكانا لائقا للترحاب؛ فهي مكان مخصص حسب سلوكاتهم لإعلان الحرب على بعضهم بالتناكر، وبالتضارب في الآراء، والعواطف والأفكار. ولأن الجزاء من جنس العمل، هو القانون المتبع،

1- تفسير التحرير والتنوير / مج(22-24)ج 22/ ص 203.

2- تفسير سورة ص/ محمد أبو النور الحديدي/ ص 199.

3- المرجع نفسه/ ص ن.

يرد الفوج المقتحم على المتبوعين بغيظ شديد متخذا الأسلوب ذاته؛ ليكون هناك اتساق نفسي بين الطرفين، إذ تكون المراجعة الكلامية بالجملة ذاتها : (بَل أَنتُم لَا مَرحَبًا بِكُم)ص: 60. معبرين بها عن الاشمئزاز منهم؛ لأنهم سبب الخطيئة التي يجنون ثمارها الآن، في ظل ثنائية من العذاب؛ عذاب جسدي وعذاب نفسي. قائلين لهم(أَنتُم قَدَّمتُمُوهُ لَنَا فَبِئسَ القَرَارُ) ص:60 أي << **أنتم قدمتم العذاب أو الصلى بنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي إليه من العقائد الزائفة والأعمال السيئة وتزيينها في أعيننا، وإغرائنا عليها، لا أنا باشرناها من تلقاء أنفسنا** >>[1]. ثم يتوجهون جماعة إلى الله عزوجل بالدعاء :(رَبَّنَا من قَدَّمَ لَنَا هَـذَا فَزِدهُ عَذَابًا ضِعفًا فِي النَّارِ)ص:61. أي من كان سببا في تعاستنا هذه بإيصالنا إلى هذا المستقر المفزع، فزده عذابا مضاعفا؛ جزاء الضلالة والإضلال، أو جزاء الازدواجية في السلوك.

ثم يختتمون حوارهم فيما بينهم مغيرين موضوع الحوار إلى البحث عن طائفة مسلمة، كانوا يؤذونها في الدنيا، ويظنون بها السوء، وينعتونها بالشرفي سؤالهم هذا :(مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشرَارِ) ص:62. وهم بهذا السؤال يعبرون عن جملة من الأمور: الحيرة والافتقاد و الفضول لمعرفة مصير هؤلاء،و عن إحساسهم بالضياع، وعن تحطم شخصياتهم على جدارالحقيقة الأخروية المتجسدة في أن الله عزوجل يمهل و لايهمل. وعندما لايجدون إجابة مقنعة تشبع مغالطتهم التي يعيشونها في ظل هذا الفضول،يعزون السبب المباشر لأبصارهم قائلين:(أَم زَاغَت عَنهُمُ الأَبصَارُ) ص:63. كأنهم بهذا السؤال يقنعون ذواتهم بصواب الفكرة التي كانوا يؤمنون بها، ويعملون لها ليل نهار، لمضايقة أهل الإيمان والتوحيد.

وخلاصة القول :

تربط الوحدة الموضوعية هذه النصوص جميعا ببعضها البعض؛ إذ تعالج بالصورة والحوارموضوعات التبعية، وسلبيات القيادة الضالة والمضلة، حيث يتنكر المتبوع للتابع، وتتصاعد بينهما لهجات خطابية تدل على انفصال كبير في العلاقة، فالعلاقة التي كانت مبنية في الدنيا على أساس مصلحي، وعلى المودة والفساد، أصبحت في الآخرة منعدمة تماما؛ لتغير المواقف، وحصول النتائج العكسية لكل الأفعال الصادرة من الطرفين. إذ تجلت النفسية الهروبية في حواراتها المتميزة بالخصومة العنيفة، الدالة على التباعد العاطفي، والتناقض التام في الآراء والأفكار والمواقف، وهذا كله في إطار جزاء واحد قاس، قانونه الوحيد، الجزاء من جنس العمل.

1- تفسير سورة ص/محمد أبوالنور الحديدي/ص200.

2- حـــوار الله عـــزوجـــل مـــع أهـــل النـــار :

توفرت في حوار آيات العذاب مجموعة من النصوص المخصصة لحوار الله عزوجل مع أهل النار، وقد جاءت هذه المحاورات في إطار مجموعة من السور القرآنية منها :

سورة الأنعام : 22-24/ إبراهيم : 44/ النحل : 86-87/ طه : 124-126/ المؤمنون 104-116/ الفرقان : 17-19/ القصص: 62-66، 74 -75/ سبأ 40-42/ فاطر : 36-37.

وقد اخترنا لمبحثنا هذا أربعة نصوص قرآنية، لإبراز أهم الموضوعات المتطرق إليها، على اعتبار أن النصوص الأخرى تلتقي معها في إطار الوحدة الموضوعية، أي في إطار التفريط في جنب الله، ومن بين أوجه التفريط هذا، قوله عزوجل :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾.

طه 124-126.

توعد الله عزوجل في الآية الأولى كل من يعرض عن ذكره معيشة ضنكا أي عسيرة؛ إذ يحشر في الآخرة أعمى أي في صورة مناسبة لما كان يفعله في الدنيا، وحشره أعمى يعني بوضوح أن الجزاء من جنس العمل. ولأن هذا الموقف هو من أشد المواقف التي يعيشها الإنسان بكل وجدانه في الآخرة، تأتينا صورته في الآية الثانية ، وهو متوجه في أحلك الظروف، وأسوأ الحالات إلى الله عزوجل، سائلا إياه بألم شديد؛ (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا)طه : 125 . باحثا عن إجابة مقنعة ومنطقية لهذه المفاجأة التي لم تكن في حسبانه. فقد كان في الدنيا بصيرا يرى كل ما حوله، وكل من حوله. وإذا به في الآخرة لا يبصر شيئا. وتفسيرنا لهذا الانقلاب الفيزيولوجي الجديد، والمثير لفضوله الكبير؛ هو تمثيل << **لحالته الحسية يومئذ بحالته المعنوية في الدنيا** >>[1]. وقد كان الجواب على قدر السؤال؛ إذ يرد الله عزوجل عليه قائلا : (كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ) طه: 126. فالنسيان في الدنيا حصل من الإنسان وهو مبصر في الوقت الذي كان مهيأ له التدبر، ولكنه امتنع عن هذا استجابة لهوى نفسه، فكانت العاقبة مناسبة تماما للامتناع!. ومن هذا السبب؛ تجسد الوحدة الموضوعية بالفعل أن الجزاء من جنس العمل، أو بمعنى آخر أن جزاء غض الطرف عن التدبر في الكون والنفس العمى في الآخرة، وهو إلى جانب أنه جزاء حسّي، فإنه خزي لمخلوق لم يعرف قدر نفسه.

وخلاصة القول :

يصور النّص أو الحوار بتعابيره جانبا آخر من المعاناة النفسية، ومن التراجيديا الإنسانية الضالة في الدنيا. حيث لعبت المفاجأة دورها في هذه التراجيديا السوداء، بتصوير تحطم إنساني عنيف على صخرة الواقع الأخروي.

1- تفسير التحرير و التنوير/مج (16-17) ج16/ص332.

إذا كان هذا الحوار القراني قد عرض صورة صراخ فردي، فالآيات التالية تعرض صورا لصراخ جماعي مليئ بالآلام والتقطعات والأنات. قال عزوجل :

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۞ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۞ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۞ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۞ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۞ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۞ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ۞ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾

المؤمنون : 104-116.

استوقف الله عزوجل في هذا الحوار أهل النار في محطات كثيرة :

أول هذه المحطات استفهام متبوع باعتراف، قال تعالى : يخاطبهم (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ)المؤمنون : 105-106. فالاستفهام في جوهره استدراج لأهل النّار كي يقدموا تفاصيل عن ماضيهم الأسود، ويحكوا من سيرتهم الذاتية ما يفسر إعراضهم عن الذكر، والتكذيب بمضامين الآيات، والتنكر لأهم قضاياها؛ المتمثلة في إفراد الله عزوجل بالتوحيد والتصديق بربوبيته. وقد أجاب أهل النّار : (رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) المؤمنون:106. ومثل هذا الجواب اعتراف وإقرار بوحدة سلوكية، سببها غلبة الشقوة على إرادتهم، وحولها بينهم وبين الحق، إذ كانت لها سلطان قوي على قلوبهم الهائمة، وعقولهم المسكرة، فساعدتهم على الانجذاب إلى الضلالة.

أما المحطة الثانية، فقد خصصت للدعاء والتضرع؛ فبعد أن أدان المتهمون أنفسهم في المحطة السابقة، اتجهوا جماعة يرجون بابا للخلاص من هذا العذاب بهذا الدعاء :(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) المؤمنون:107. فهم يتضرعون في هذا الموقف العصيب، ويتقربون إلى الله عزوجل بهذا الطلب الاستعجالي،الذي يعبرعن رغبة شديدة في الإفراج والعفو عنهم وإعطائهم فرصة أخرى للعمل الصالح، فإن عادوا للضلالة والشقاوة فإنهم يتحملون أوزارهم، فيحق عليهم القول بأنهم ظالمون.

وقد كانت المحطة الثالثة أشنع المحطات توبيخا وتعنيفا،كانت محطة صريحة لإعلان الرفض؛ رفض الاستجابة المطلقة لطمع في نيل فرصة جديدة لحياة أفضل في الآخرة، وهذا عقاب لهم، إذ حطم رده عزوجل كل آمالهم في النجاة، بخطابه إياهم بأقبح كلمة تستعمل أصلا لزجر الكلاب[1]؛(**قال اخسئوا فيها ولا تكلمون)** المؤمنون: 108 . فهم ليسوا أهلا لتكليمه والطلب منه أن يمنحهم فرصة جديدة لحياة أفضل، فقد فات

1-انظر لسان العرب/ مج2/ ص 1155 -1156/ مادة : خسأ/ والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني/ ص 148/ كتاب الخاء/ مادة : خسأ.

الأوان، وحق عليهم القول.

ولقد ربط الزجر بسبب قوي في هذا الخطاب العنيف، فرفض التكليم لا يفسر فقط باتباع الضلالة؛ بل بسبب آخرقوي؛ فقد كان فريق من المؤمنين تلهج ألسنتهم دائما بالدعاء رجاء الغفران، وطلبا للرحمة، فكان جزاؤهم أن لاقوا أسوأ المعاملات، والردود الفعلية؛ إذ لاقوا من هؤلاء الظالمين أذى كثيرا،مطعما بسخرية قاسية،ولهذا السبب كان رد الله عزوجل بهذا الأسلوب : (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۞ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ)المؤمنون: 109-111. فهذه السخرية بقدر ما كانت تحقق لهم اللذة، وتمتعهم إلا أنها أصبحت وبالا عليهم؛ بانشغالهم عن ذكر الله عزوجل، ولأجلها كان الجزاء عكسيا؛ فقد جاءت المجازاة بقدر الاستمتاع بأذى المؤمنين ، أما أهل الإيمان فقد جوزوا جزاء أوفى بقدر الأذى الذي نالهم من الكفار الظالمين.

وبعد هذا << **الرد القاسي المهين، وبيان أسبابه وما في البيان من تعزيز وتبكيت يبدأ استجواب جديد...** >>[1] في محطة جديدة، ولكنها الأخيرة في هذا الحوار، (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۞ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ۞ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)المؤمنون : 112-116. ففي هذا المقطع التصويري الأخير، يسأل الله عزوجل أهل النار عن عدد السنوات التي عاشوها في الدنيا، فكانت إجابتهم دالة على تمزق في ذاكرتهم، إذ لم يستطيعوا التركيز، فقد نسوا أمام الهول العظيم أن يعدوها؛ وعندما لم يجدوا جوابا آخر، قالوا (فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ)المؤمنون: 113. أي الحاسبين، فهذا الجواب << **اعتراف بأنهم لم يضبطوا مدة مكثهم فأحالوا السائل على من يضبط ذلك من الذين يظنون أنهم لم يزالوا أحياء لأنهم حسبوا أنهم بعثوا والدنيا باقية وحسبوا أن السؤال على ظاهره فتبرأوا من عهدة عدم ضبط الجواب**>>[2]. ثم يأتي التعقيب الأخير لأهل النار بخطابه عزوجل : (قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) المؤمنون : 114-116. ليحبط كل الأباطيل المروج لها، وليثبت أن اليوم الآخر حقيقة لا ريب فيها، وسيكون القانون المعمول به حينئذ: أن الجزاء من جنس العمل.

وخلاصة القول :

يبدو الالتحام بين الآيات قويا، فهذا الحوار هو ملتقى الجزاءات المتنوعة؛الجزاء بالمهانة، واللامبالاة، والتحقير لأهل النّار.والجزاء بالتكريم لأهل الجنّة. أو بمعنى آخر، ملتقى لجزائين متضادين؛ جزاء بالعذاب، و جزاء بالنّعيم. علاوة على هذا، يعتبر هذا الحوار الطويل تسفيها من الله عزوجل للعظمة والتسامي بالنفس،

1- مشاهد القيامة في القرآن/ص202.

2- تفسير التحرير و التنوير/مج(18-19) ج18/ص132.

والغفلة الإنسانية. وفيه يبرز الجانب المعنوي في صورة خوف شديد من العاقبة. وبهذا تجسد الوحدة الموضوعية السقوط الحر لأهل الضلالة، والسقوط الحر لكل الضلالات.

وهذه كذلك صورة من صور التراجيديا، التي يعيشها أهل النّار يوم القيامة، فهذه جهنم وهؤلاء سكانها، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف من عذابها، فلا الموت بحاصل ولا التخفيف من عذاب النّار بمدرك، قال عزوجل :

﴿ والذين كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾

فاطر : 36-37.

ولأن العذاب هو أشد ما يلاقيه هؤلاء المحبوسون، فهاهم لم يجدوا سوى التضرع وسيلة عسى ولعل يخفف عنهم، أو يسمح لهم بالموت الأبدي. فها (هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا).فاطر:36. ويصطرخون << **مبالغة في يصرخون لأنه افتعال من الصراخ وهو الصياح بشدة وجهد، أي يصيحون من شدة ما نابهم** >>[1]. ولأن مانابهم أقوى مما يتصورونه، فهاهم يتوجهون جماعة بالدعاء منادين : (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) فاطر :37. فهم بهذا الدعاء يطلبون من الله عزوجل الخروج؛ لكي يقدموا أعمالا صالحة غير التي قدموها، وهم بهذا الطلب يغالطون أنفسهم، ويكذبون عليها، بإرادتهم الرجوع ليعملوا أعمالا صالحة، وليصححوا الخطأ حتى يذوقوا من حلاوة الإيمان ومن طعم التوحيد! ولكن هل تتحقق الأمنية؟.

إن الأمنية لا تتحقق، إذ يخاطبهم الله عزوجل قائلا : (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ)فاطر : 37.فالله عزوجل في هذا الخطاب الصريح يذكرهم بأمرين اثنين كافيين لهم في الدنيا لتقديم الأعمال الصالحة، الأول: تعميرهم، إذ كتبت لهم أعمارا طويلة عساهم يتذكرون، فقد كانوا معطلين لبداهاتهم، ومسكرين لعقولهم بمفاتيح الهوى والمغالطات. أما الثاني : فقد بعث الله تعالى فيهم نذيرا رحمة منه، لينذرهم ويذكرهم بهذا اليوم، الذي يجنون علقمه الآن .

وخلاصة القول :

تكمن الوحدة الموضوعية في المعاناة الحسّية والمعاناة النفسية،التي تجمع أهل النّار في ظل عذاب شديد لا مفر منه، بسبب وجه آخر من أوجه التفريط في جنب الله.

أما على مستوى النصوص جميعا، فالوحدة الموضوعية تحث على التدبر في الكون والنفس، فانعدام التدبر والانشغال بالملذات والسخرية بأهل الإيمان نهايتها الوحيدة هي الدخول إلى النّار.

1- تفسير التحرير و التنوير/ مج(22-24) ج22 / ص318.

3- حـــوار الأعضـــــاء :

يمكننا انطلاقا من النصوص القرآنية، التي بين أيدينا أن نقول: إن الإعجاز القرآني لم تتوقف مفاجآته عند حد تصوير حوار الإنسان، بل تجاوزه إلى الحوار مع شخصيات لا لسان لها! لكنها في التصوير القرآني البياني شخصيات ناطقة، بل وشاهدة، لأن الشهادة أبلغ من النطق لمجرد النطق! هذه الشخصيات هي جوارح الإنسان وأعضاؤه اللصيقة به،فبعدأن كانت في الدنيا تقوم بوظائف مختلفة في صمت عجيب،ها هي في الآخرة تكتسب لساناناطقا؛ لتقوم بوظيفة مغايرة تماما لوظيفتها السابقة!.

وقد توضح من خلال النصوص القرآنية وجود سلوكات جديدة في الآخرة، تعمل في حبكة واضحة، أي في مجرى واحد، لإبراز جانب فريد من المفاجآت المتنوعة،التي تصور فعلا وبقوة مصير الإنسان الضال في مأساته الكبرى؛ المتمثلة في عذابه النفسي والجسدي معا.

ومن هذا، فإن حوار الأعضاء يندرج ضمن حوارات أهل النّار، إذ أفصحت النصوص القرآنية عن هذه الأعضاء جميعا، ورغم قلتها أمكننا أن نصنفها إلى قسمين:

1- قسم كان للتصوير فيه حظ كبير ، ويشمل هذه الآيات:

﴿ انَّ الذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ المُؤمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

النور : 23-24.

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۞ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

يس:63-65.

2- أما القسم الثاني، فقد بدت فيه المراجعة الكلامية بين الأطراف السائلة- أهل النّار- وبين الأعضاء المجيبة . قال عزوجل :

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

فصلت : 19-22.

فبعد أن يشهد الإنسان على نفسه في المحطات السابقة بلسان حاله ومقاله، ويعترف بأوجه التفريط في جنب الله عزوجل، تسحب منه كل الصلاحيات؛ كي تترك الفرصة لأعضائه أن تكون طرفا آخر في حوارات الآخرة، إذ أثبتت الآي القرآنية قدرة الله عزوجل على استنطاق الأعضاء، بأن يهبها حياة وإدراكا ؛ لكي تقوم بوظيفة من أشرف الوظائف ألا وهي الشهادة، شهادة الحاضر على المتهم، لكن ليس في محكمة

الدنيا، بل في محكمة الآخرة التي لا يظلم فيها أحدا!.

وقد كان موضوع الحوار بين أهل النّار والأعضاء، كما أفصحت عنه الآية الكريمة : (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا) فصلت : 21. إذ حوى هذا الاستفهام نبرة خطابية دلت على عمق المعاناة الإنسانية في هذه المحطة الأخروية، فأهل النّار كما يبدو، لم تكن لهم دراية بأن جلودهم اللصيقة بهم سوف تتأهب لإعلان العداوة والخصومة في إطار الشهادةعليهم، (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). فشهادتها في نظرهم بعيدة كل البعد عن المنطق الذي يدركونه؛ فكيف تكتسب هذه الجلود إرادة وقدرة على النطق؛ لكي تشهربجرائمهم؟. فتكون شهادتها << **شهادة تكذيب وافتضاح** >>[1]، فهذا الألم الذي يشعرون به هو قمة التعاسة التي يعيشونها، بعد أن رأوا معجزة الله في استنطاق جلودهم، التي كانت تقوم بوظائف تخدمهم، وظائف يحققون بها السعادة الزائفة في دنياهم!.

ولأنهم بحثوا عن علة هذا السلوك المفاجئ بهذا الاستفهام، فقد جاء الجواب صريحا : (قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)فصلت :21. إذ تجيبهم << **كما يجبه الغريب الغريب في موقف الشهود ...وإنه لمشهد عجيب نابض بالحياة في هذا الحوارالغريب !** >>[2] المعبر عن أن قدرة الله عزوجل تفوق كل التصورات، وكل التخيلات؛ لأنها حقائق ومعجزات شأنها عظيم، تناسب المقام والمقال.

وخلاصة القول :

كشف حوار الأعضاء مع أهل النّار عن عبادة فريدة في المكان والزمان؛ إذ بدت الأعضاء الناطقة في صورة شخصيات عاقلة، تعبر عن طاعة عمياء لله عزوجل، وهي تشهد على أصحابها في ثوب من الخشوع والاعتراف بقدرته عزوجل باستنطاقها. ولأجل هذا فحوار الأعضاء مع أهل النّار ليس ترفا، ولا توشيحا فنيا في هيكل آيات العذاب والنّعيم الأخروي، بقدر ما هو تعبير عن صورتين متضادتين؛ إذ يصبح الجامد متكلما، فيتحقق بهذا أهم انقلاب للمأمور على السيد، فيبدو في صورة المنكسرالحزين، الذي يبحث عن النجاة، بعد ما أغلقت كل أبواب الإعفاء من الأعمال الشاقة المنتظرة!.

1- تفسير التحرير و التنوير/ ج24 /ص266.

2- مشاهد القيامةفي القرآن/ص173.

4- حـــوار المـــلائكـــة :

جاء حوار الملائكة مع أهل النّار في مجموعة من النصوص القرآنية. والملائكة << ... **مخلوقات نورانية لطيفة غير منظورة، لا تدرك بالحواس البشرية، ولا يعلم حقيقتها إلا الله عزوجل ...** >> [1].

حيث كانت المحطة الأولى و التي أجري فيها الحوار أثناء الاحتضار، قال الله عزوجل :

﴿ انَّ الذِينَ تَوَفَّاهُمُ الملائكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الارْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ ارْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

النساء : 97.

ففي الصورة الأولى يوجه الملائكة سؤالهم مباشرة لأهل النّار: (فِيمَ كُنتُمْ) ؟ أي << **لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة** >> [2] ؟ وقد أجاب المُستَجوَبُون : (كُنَّا مُستَضعَفِينَ فِي الأَرضِ) أي لم تكن لدينا قوة ولا حيلة ترد عنا ظلم الأسياد والقادة! فمن خلال هذه المراجعة الكلامية التي جاءت في إطار سؤال وجواب، نتبين ملامح الشخصيات المتحاورة؛ فالملائكة يسألون أهل النّار بصرامة، ويقصدون من وراء الاستفهام أن يدين المتهمون أنفسهم بأنفسهم، ليكونوا شاهدين عليها؛حتى تكون المجازاة النهائية منطوية على عدالة إلهية. أما أهل النّار فقد أجابوا عن السؤال بتقديم السبب بلا التواء، ولا جدال، ولا مخاصمة. فهم يعبرون عن قضيتهم بعذر الاستضعاف في الأرض، ويتعللون به كي يخففوا عن أنفسهم، وهم يدركون جيدا بأن عذرهم لا جدوى منه. فالمقصد القرآني من هذا الحوار، هو ربط المقدمة بالنتيجة، وربط أجزاء الحوار ببعضها في وحدة موضوعية تدور حول فكرة معينة؛ هي أن الاستضعاف ليس عذرا يتعلل به المتعللون، فالحل الأول والأخير للمحافظة على الدين هو الهجرة، (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا)، فهي التي تكفل حرية العقيدة وكرامة الأشخاص.

أما الحوار الثاني، فهو يجري في محطة أخرى، ومع نوع آخر من الملائكة قال عزوجل :

﴿وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ ابْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ عَلَى الكَافِرِينَ ۞ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

الزمر : 71-72.

فالمحطة هي أبواب جهنّم. والملائكة هم خزنة النّار، والخزنة هم << **الملائكة الموكل إليهم أمر**

1- دراسات في الفكر العربي الإسلامي / إبراهيم زيد الكيلاني - همام عبد الرحيم سعيد- صالح ذياب هندي / دار الفكر : عمان / ط4/ 1992م/ ص 116.

2- تفسير ابن كثير/ ابن كثير/ دار الأندلس: بيروت/ طبعة جديدة مصححة/ دت/ ج 2/ ص 369.

جهنم >> [1]. فبعد المجازاة الحسّية لأهل النّار؛ والمتمثلة في ذلك السوق الذي يدل على << **الحث على المسير بعنف** >> [2] وإهانة. يردون أبواب جهنّم المفتّحة، فتبادرهم الخزنة بهذا الاستفهام (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) الزمر: 72. إذ تبدو بين أجزاء الاستفهام المتتالية علاقة وطيدة تدل على وحدة موضوعية؛ فالله عزوجل اصطفى من عباده المؤمنين رسلا وأنبياء، و بعثهم إلى أمم قد خلت، وكان آخر الرسل محمدا صلى‌الله عليه وسلم؛ هؤلاء الرسل جميعا وكلوا بتبليغ أممهم الدعوة إلى الإيمان بالله عزوجل، الذي أيدهم بالمعجزات الحسية والبيانية؛ تأييد الرسول عليه السلام بالمعجزة القرآنية، وذلك من أجل إقناعهم، وإنذارهم من عاقبة الشرك في الدنيا والآخرة. ولأجل هذا فالسؤال لم يطرح رغبة في العلم بالجواب؛ بل ليصدق على المجيبين الجزاء، الذي سوف يجنون ثماره وقد كان الجواب بالإيجاب؛ بأداة الإثبات (بَلَى) التي تتضمن معنى<< **قد جاءتنا وتلوا علينا وأنذروا** >> [3]. ومن خلال هذه المراجعة الكلامية تبدو صورة جديدة لنفسية مغايرة تماما للنفسية التي كانوا عليها في السابق؛ إذ أجابوا << **معترفين ولم يقدروا على الجدل الذي كانوا يتعللون به في الدنيا لوضوح السبيل أمامهم ولا سبيل حينئذ للإنكار والجحود** >> [4].وقد عززت أداة الجواب بجملة استدراكية تفيد استحقاق أهل النّار للعذاب، قال عزوجل :(بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) الزمر :71. إذن فالموقف << **موقف إذعان واعتراف وتسليم** >>[5] والعاقبة هي الدخول إلى جهنّم (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) الزمر: 72. فهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على دعوة إلى إقامةغير هنية. وبه ينغلق باب الحوار ليفتح آخرفي محطة ثالثة؛ أي في وسط الجحيم. إذ يحقق نص الحوار التالي وحدة موضوعية مع النص السابق.قال عز و جل :

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

الملك:8-10.

إن النص كله << **... مشهد مروع تضطرب له القلوب وتقشعر له الجلود. وبينما هم في فزع من هذه الغول التي تتميز من الغيظ وهي تتلقفهم بشهيق وهي تفور، نسمع خزنتها وحراسها يتلقون كل فوج مدفوع بسؤال واحد مكرر وكلهم ذو شأن واحد مكرور...ألم يأتكم نذير؟...** >>[6] فبعد أن أكد الخزنة في النص السابق

1- تفسير التحرير و التنوير/ج29/ص25.

2- تفسير النهر الماد من البحر المحيط/أبو حيان الأندلسي/ق2/ج2/ص857.

3- المصدر نفسه/ص858.

4- تفسير المراغي/أحمد مصطفى المراغي/شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي: مصر/ دط /1365هـ-1946م/ مج(23-24) ج24/ص36.

5- مشاهد القيامة في القرآن/ص170.

6- المرجع نفسه/ص208.

بواسطة الاستفهام وظيفة الرسل في أزمنة متعاقبة جاء دور أهل النّار ليؤكدوا من خلال استرجاع الحقيقة التاريخية الاستفهام بهذا الجواب:(بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ)الملك:9. فهم في هذا الموقف يقصون على الخزنة أكبر جريمة اقترفوها في حق النذير. وليس هذا فحسب، بل كفروا بما أنزل الله تعلى من آيات ومعجزات حسّية وبيانية. وكإدانة أخيرة من أهل النّار لأنفسهم، تبدوالمعاناة في هذه الملامة: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)الملك: 10. دلالة على غفلتهم.وقد قدموا السمع على العقل؛ لأن العقل<< بمنزلة الكلي والسمع بمنزلة الجزئي ورعيا للترتيب الطبيعي لأن دعوة النذير هو أول ما يتلقاه المنذرون، ثم يعملون عقولهم في التدبر فيها >>[1].

وخلاصة القول :

تنوعت شخصيات الحوار وتنوعت موضوعاته. ورغم هذا، فقد تحققت الوحدة الموضوعية بإقرارأهل النّار جميعا بالعذاب الجسدي وبالعذاب النفسي. حيث بدأت إهانة الملائكة لأهل النّار أثناء الاحتضار، ثم تصاعدت لهجتها في كلا الحوارين. وعلى كل فالآيات جميعا تعبرعن أوجه التفريط في جنب الله. وبهذا تعتبر فصلا مسرحيا مستقلا بمشاهده، وموضوعاته المتنوعة ، وشخصياته الرموز. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، تعتبر تفسيرا جوهريا لقوله عزوجل : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) التحريم: 06. حيث توضحت في هذه المحاورات صور المخلوقات النورانية؛ وهي تعبر عن الغلظة والشدة في أحنك الحالات التي تواجهها النفس البشرية والجسد البشري.

1- تفسير التحرير و التنوير/ج29/ص28.

5- حـــوار أهـــل الجنّـــة :

من النصوص القرآنية التي صورت حوار أهل الجنّة فيما بينهم قوله عزوجل :

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۞ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۞ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾

الطور : 25-28.

يكشف التصوير القرآني لأهل الجنّة في هذا النّص الكريم عن صورة لهم، وهم يتبادلون أطراف الحديث ويتساءلون فيما بينهم عن أحوالهم في الدنيا. فقد عبرت الآيات عن استرجاع قوي للأيام الخوالي بصورة موجزة و سريعة، إذ يذكرون حالهم في الفائت ويقرون بفصيح اللفظ أنهم كانوا أهل صلاح وتوحيد. ولهذا كان الجزاء من جنس العمل، حيث قوبل الإحسان بالإحسان؛ بتجسد العدالة الإلهية في توفية الأجور.

وقد بحث أهل الجنّة معا أسباب السعادة التي يشعرون بها،ويعيشون في رحابها، فتوصلوا إلى أن السبب أنهم كانوا مشفقين، أي << **أرقاء القلوب من خشية الله** >>[1]، ولأجلها كان جزاء إشفاقهم من خالقهم أن وقاهم (عَذَابَ السَّمُومِ)الطور:25. والسموم هي << **الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنّم لأنها بهذه الصفة** >>[2].

وقد كان الإشفاق مكللا بالدعاء، إذ كان وسيلتهم التي يتقربون بها إلى الله عزوجل دائما، وهذا ما عبروا عنه بقولهم :(إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) الطور: 28. فبهذا الإقرار يؤكد أهل الجنّة أن الدعاء كان الرباط القوي بين ذات إنسانية ترجو النجاة و ذات إلاهية صفته البر والرحمة، وكلتاهما صفتان تعبران عن الإحسان الواسع. ومن هذا، بدت الوحدة الموضوعية في تعابير أهل الجنّة، والمتمثلة في الانشراح والاطمئنان الذي ينعمون به في ظل الرحمن. فالنص بصورته الموجزة يتسع لعدة إيحاءات عن النّعيم النفسي لهم. فإذا كانت الصلاة هي مفتاح النجاة في آيات المدثر[3]. فإن التقوى رأس الأمر كله في هذه الآيات التي جمعت بين الآية والأخرى بين دارين؛ دار العمل ودار الجزاء. فالتقوى هي جوهر العبادة ، فلا << **... يمكننا تصور معنى للعبادة إلا بإقرارها لمبادئ السماء وتمثيلها عمليا في السلوك** >>[4]. إضافة إلى هذا، فأهل الجنّة إلى جانب ربطهم بين سلوكاتهم في الدنيا ونتائجها في الآخرة، فهم ينعمون بشعور قوي؛ هو حب الله عزوجل، فحبه تعالى هو << **... أسمى أنواع الحب الإنساني الذي تقوم عليه جميع أفعال المؤمن، وهو القوة الموجهة لسلوكه** >>[5].

1- الكشاف/الزمخشري/صححه: مصطفى حسين أحمد/دار الكتاب العربي: بيروت/ط3/1407هـ-1987م/ج4/ص412.

2- المصدر نفسه.

3- المدثر/الآية 43.

4- دراسات في علم النفس الإسلامي/محمود البستاني/دار البلاغة: بيروت/ط2/1411هـ-1991م/ج2/ص141.

5- الحديث النبوي و علم النفس/محمود عثمان نجاتي/دار الشروق: القاهرة/ط2/1413هـ-1989م/ص78.

وخلاصة القول :

تعتبر هذه الإقرارات جزء من سيرة جماعية ملخصة في ثلاث آيات قرآنية، إقرارات كثيرة إيحاءاتها، واضحة أهدافها. فالخشية فيها رأس الأمر كله، والدعاء مخ العبادة فيها وسيلة لتحقيق الرجاء في خاتمة حسنة؛ هي النجاة من عذاب السموم، والفوز برضا الله عزوجل .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6- الحـــوار بين أهـــل الجنّـــة و أهـــل النّـــار.

لقد تشكل الحوار الذي دار بين أهل الجنّة وأهل النّار، في ظل مجموعة من الآيات القرآنيـة. منهـا قوله عزوجل :

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾

الحديد:13-14.

ففي هذه الآيات يجري الحوار القرآني بين صنفين من أهل الشقاء و السعادة؛ بين المنـافقين والمنافقات، وبين الذين آمنوا. فالمشهد<< **هنا بإجماله و تفصيله جديد، وهو من المشاهد التي يحييها الحوار، بعد أن ترسم صورتها المتحركة رسما قويا. فنحن هنا نشهد منظرا عجيبا** >>[1] مليئا بالمفاجـآت، فقد طلب المنـافقون و المنافقات بصريح اللفظ المباشر من الذين آمنوا قائلين: (انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ) الحديد:13. أي طلبوا منهم إمهالهم و انتظارهم؛ كي يستفيدوا معهم من النور الذي يشع من بين أيديهم و بأيمانهم، و بهـذا الطلب أعطوا لأنفسهم بعض الحق في المشاركة الحسّية، ومن هنا تظهر مخادعة ذاتيـة تعبر عن نفس<< **استعلائية بشكل عام، مقابل السمة السوية التي تتعـامل**(واقعيا) مـع الـذات دون أن **تحملها نظرات متورمـة هـي: (الكبر، الفخر، الحمية،العصبية)**... >>[2]

و لقد كـان الجـواب عـن المنـافقين و المنافقـات علـى قدر إلحـاحهم فـي رد الشـخصية المجهولـة، في قوله عز و جل: (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) الحديد :13. دلالـة علـى أن النـور لا يطلـب مـن الأمـام، بل من الخلف، حيث لا نور. ثم أن المنادي المجهول قد كان صارما في رد فعله هذا، حيث عبر عن قرار محكمة عليا لاتراجع لها. و بهذه الجملة التي تعبر عن << **... صورة بارعة و سخرية لاذعة** >>[3] لعبت المفاجـأة دورا هاما في هذا الحديث الأخـروي، إذ كـان التلاعـب بنفسية المنـافقين و المنافقـات حدثـا رئيسيا فـي هذا الحوار، وكان طلب الرجوع القهقري مغالطة كبرى، تعبر فعلا عن أن الجزاء من جنس العمل، وأن التفريـط في جنب الله لايسمح لمن نافقوا أن يصلوا إلى الهدف، الذي تاقت إليه نفوسهم المريضـة، و أنـه لايسـمح لهـم البتة أن يكونوا مع الذين آمنوا في مرتبة واحدة،ثم أن هذا الردّ الاستعجالي << **هو ردع للمنافقين و حبس لهم في أماكنهم التي هم فيها لايبرحونها، حتى يقضي الحق قضاءه** >>[4] لتكون المفـاجـأة الثـانية وهـي حـوار من نوع

1- مشاهد القيامة/ص244.

2- دراسات في علم النفس الإسلامي/محمود البستاني/ج2/ص70.

3- التصوير الفني في القرآن/ص220.

4- التفسير القرآني للقرآن/عبدالكريم الخطيب/مج7/ج27/ص760.

آخر، و تواصل فريد، يدخل ضمن التصوير الذي يوحي بالفاصل الزمني بين موضوع الحوار الأول، و موضوع الحوار الثاني، و تتمثل المفاجأة في السور الذي يضرب بينهم و بين الذين آمنوا، فزيادة على ردّ الشخصية المجهولة، كان الجواب حسّيا مانعا من الاختلاط والاقتباس من النور، و ذلك في قوله عز وجل : (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) الحديد:13. ورغم وجود هذا الفاصل إلا أن الحوار ظل جاريا بين الفريقين، إذ (يُنَادُونَهُمْ) قائلين(أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ)الحديد:14. وقد قصدوا بالمعية تلك المشاركة الدنياوية في<< **أعمال الإسلام من نطق بكلمة الإسلام و إقامة عبادات الإسلام** >>[1].

و بهذا النداء الذي يعد من أعمق الصيحات الوجدانية، يقوى التواصل بين الفريقين في هذا الجزء الثاني من الحوار، إذيؤكد الذين آمنوا تلك المعية بأداة الإثبات (بَلَى). وقد زادوا عليها إقرارات أخرى تنفي المعية الوجدانية الباطنية، مستدلين بسلوكاتهم المريضة التي كانوا عليها سابقا. فهذه الجمل المعطوفة على بعضها عطفا يعبرعن شخصية ممزقة ومذبذبة. قال عز و جل :(قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) الحديد:14. إن هذه الجمل مجتمعة معا، توضح صورة مركبة لسلوكات المنافقين والمنافقات، فهم يتميزون بصفات قبيحة، ومركبات نقص فظيعة، تتمثل في فتنة أنفسهم،وهذا بإهلاكها بصفة النفاق، و لأن هذا الأخير هو إظهار مالا يبطنون، فإن لذتهم الكبرى تكمن في التربص بالمؤمنين الدوائر، بتمني الموت لهم،لما يتصفون به من ريبة و شك في الدين الإسلامي، ولأن أنفسهم هي مركزومجمع الأمراض و الأفكارالضالة فهم يخادعونها دائما بالأماني الكاذبة الجذابة، وبهذه الشبكة الكبرى من صفات النفاق كان للشيطان سلطان عليهم بالتغرير بهم.

وخلاصة القول :

إن المؤمنين في هذا الحوار القرآني،و في هذه الصور الجزئية من صور العذاب النفسي الأخروي، قد تولوا مهمة الإبلاغ؛ حيث عبروا عن ظاهرة النفاق في أوسع مجالاتها، وعن << **جذورها النفسية ذات الطابع الشاذ** >>[2] . فوحدة الموضوع بين هذه الآي جميعا تجلت بوضوح في تبيان وجه آخرمن و جوه التفريط في جنب الله عزو جل. و ذلك بإبراز صورعن طريق الحوار لهذا النموذج البشري. ولأن الجزاء من جنس العمل، فإن مغالطات المنافقين و المنافقات في الدنيا قوبلت بمغالطات أقوى في الآخرة، إذ انقلب الموقف لصالح المؤمنين بمغالطة المنافقين والمنافقات بالطلب منهم الرجوع القهقري لالتماس النور، وبنسبة المعية بالأداة، ونفيها مباشرة بجمل ترسم صورة كبيرة لهذا النموذج المريض و لهذه الشخصية اللاجتماعية، و على هذا الأساس فوحدة الموضوع تعبر<< **عن تآزر الأفعال الجزئية إلى وحدة سلوكية أكبر و أكثر تكاملا** >>[3]وخير

1- تفسير التحرير و التنوير/مج(27-28) ج28/ص385.

2- دراسات في علم النفس الإسلامي/محمود البستاني/ج2/ص70.

3- في سبيل موسوعة نفسية/مصطفى غالب/دار مكتبة الهلال : القاهرة/ط3/1982م/ج2/ص142.

ما نختم به هذا التحليل الحديث عن التناسق أو بمعنى آخر عن وحدة الرسم الملموسة من لفظ النور الذي كان نقطة البداية التي كان منها الحوار<< و ننظر فنجد هنا للنور حكمة خاصة تشع التناسق في المشهد كله إن الحديث هنا عن المنافقين. و المنافقون يخفون باطنهم. و يتظاهرون بغير ما في الضمير المكنون، و يعيشون في ظلام من النفاق و الدس و الوقيعة، و النور يكشف المخبوء، و يفضح المستور، فهو أليق شيئ هنا بأن يطلق أشعة على المشهد الكبير و أن ينير كذلك بين أيدي المؤمنين و المؤمنات. بينما المنافقون في الدرك الأسفل من النّار كما عرفنا من قبل،أي في بطون الظلمات التي تناسب ظلمات الضمير و ظلمات الخافي المستور>>[1]

و يتجلى الحوار الثاني بين أهل الجنّة و أهل النّار في قوله عزوجل:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۞ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۞ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾

المدثر:38-47.

إذ ينفتح بهذا السؤال :(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)؟المدثر:43. أي ما أدخلكم فيها؟ و بهذا تتكشف دهشة أهل الجنّة, و فضو لهم لمعرفة أسباب هذا الشقاء. و قد تولى أهل النّار الإجابة عنهم كاشفين عن أسباب الإجرام المتصفين به. حيث كانت الإجابات المتتالية صريحة، تتعلق بجوانب عديدة، عقيدية،سلوكية، وأخرى أخلاقية.

و قد ترأست الصلاة قائمة الإجابات، عندما اعترفوا قائلين:(لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)المدثر:43. وبهذه الإجابة يتضح نفي مطلق من هذه النماذج البشرية التي أضاعت الصلاة في دنياها، ظنا منها أنهاعلى صواب، و أن منطقها هو المنطق السليم. و يلي الاعتراف بالتفريط في جنب الله بترك الصلاة اعتراف آخر بإضاعة حق المسكين، في قولهم : (وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ)المدثر:44. فقد كانوا قوما مترفين لا يحسون بآلام المسكين، و لاينفقون من الأموال التي رزقوابها شيئا يسدون به رمقه، ويكفونه ذل السؤال، وهذا بسبب بخلهم الشديد. و يأتي الاعتراف الثالث كترجمة و اضحة معللة لوجهي التفريط السابقين، و المتمثل في قولهم :(وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) المدثر:45. وقد كانت الجريمة الكبرى هي تكذيبهم بيوم الدين حيث أعلنوا بصريح اللفظ أنهم كانوا كافرين به، و هذا في قولهم (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) المدثر:46. فالكفر باليوم الآخر هو الإطار الجامع لكل هذه السلوكات. و قد كانت خاتمة الاعترافات كلها قولهم: (حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) المدثر:47.

1- مشاهد القيامة في القرآن/ص246.

يتضح من خلال هذا التحليل : أن الارتباط بين هذه الموضوعات المتنوعة شديدة ؛فالصلاة تكسب القلب رقة ،و لهذا احتلت المرتبة الأولى في قائمة الإجابات. و الرقة تؤدي إلى العطف على المساكين، و هذا عمل إنساني رائع.ثم أن الصلاة تكسب الإنسان وقارا، مما يجعله يرتفع عن الأماكن التي يكثر فيها اللغو والجدل. و هي تقوي إيمانه أيضا باليوم الآخر.

و خلاصة القول:

إن المادة الخبرية التي تضمنتها الآي القرآنية تعبر عن الوحدة الموضوعية، ووحدة سلوكية بدتا من خلال هذه التقارير اللفظية،التي تميزت بالتماسك العضوي فيمابينها. وقد بدا فيها الصدق النفسي لهذه النماذج البشرية، هذا الصدق الذي كان منعدما في الدنيا، أصبح ميزة سلوكية في الآخرة،ليعبر عن مواقف و حالات صادقة.

إضافة إلى هذا فقد عبر النصان معا في إطار الوحدة الموضوعية عن أوجه من وجوه التفريط في جنب اللة،رغم اختلاف الأسباب و المسببات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و خلاصة القول من هذه الدراسة الجزئية :

1- إن المقارنة بين حوارات آيات العذاب و النّعيم، تجعلنا نؤكد أن آيات العذاب قد اتسعت مساحتها لحوارات شتى. في حين قلت الآيات المصورة لحوارات آيات النّعيم. و لعل العلة أن الله خالق الإنسان و العالم بسريرته و أفعاله، و رحمة منه أراد من خلال هذه الآيات تصوير الحقيقة الغيبية له، ليدرك جيدا مصيره الأخروي، أو الصورة المقابلة لحياته الأولى.على أساس أن له قابلية كبيرة لاتباع سبيل الضلالة. ولهذا جاءت موضوعات الحوار للدعوة إلى توحيد الله، وإفراده عزوجل بالربوبية، وهذا هو المقصد الرئيسي الأول لها.

2- جاءت الحوارات الخاصة بآي العذاب و النّعيم متناثرة في السور القرآنية الكثيرة، ورغم هذا فأهم ميزة اتسمت بها هذه الوحدة الموضوعية بينها، و التي عبرت عن صور التفريط في جنب الله و عاقبته الوخيمة.

3- لقد توضحت من خلال الحوارات القرآنية تجسد العدالة الإلهية إذ سمح للإنسان الضال أن يدافع عن نفسه، ولو كان خاطئا، و ذلك قبل إصدار الحكم النهائي عليه. و هذا في إطار الوحدة الموضوعية دائما.

4- بلغ التصوير النفسي في إطار الوحدة الموضوعية قمته، إذ تفاعلت شخصيات الحوار مع الأحداث و المواقف تفاعلا كبيرا و من بين الجوانب النفسية التي كان لها دور كبير في رسم الشخصيات المنفعلة مايلي:

أ- الاستدعاء أو الاسترجاع الإرادي: الذي كان قويا في الحوارات، إذ استحضر الإنسان كفرد أو جماعة جملة من الأمور تعتبر زبدة سيرته الذاتية أو الجماعية ، سواء في جانبي العذاب أو النّعيم، وباستدعاءاته المتنوعة لمختلف صور حياته الماضية استطاع أن يحكم على نفسه بنفسه في مواقف الفشل، و في مواقف النجاح.

ب- الصدق العقدي و السلوكي : إذ توضحت من خلال الحوارات الحقيقة النفسية، حيث تكتسب شخصيات الحوار في مختلف المواقف و المواقع نفسية جديدة، ميزتها الصدق العقدي و السلوكي.

جـ- كانت للنفسية الهروبية دور في فضح الشخصيات النموذجية المتلاعبة، التي كان لها يد في الضلالة و الإضلال. بالمقابل كانت أمنية الرجوع إلى الدنيا لعمل الصالح،و للنجاة من النّار في ذروة التعابير، و قد عززت بالندم على ما فات في أكثر من موقف.

5- كما اتسمت أغلبية الحوارات بطابع التبادلات الكلامية التي تتصف بالجدل خاصة في آي العذاب. أما آيات النّعيم فقد اتسمت بالحوار البعيد عن جو الخلاف، تبعا لنفسيات أهل الجنّة،المعبرة عن الاطمئنان و الراحة.

وفي الأخير يمكننا أن نقول : إن حوارات آيات العذاب و النّعيم في القرآن الكريم، كانت مصورة بقوة لنفسيات المعذبين، ولنفسيات المنّعمين. فعبرت عن التراجيديا السوداء بكل التعابير القوية، وعبرت عن النهايات السعيدة بكل التعابير الدالة عن الفرح والسعادة والاطمئنان إلى جنب الله، و هذا في ظل الوحدة الموضوعية التي تعتبر طريقة مطردة في أغلب الحوارات وهي طريقة فنية من حيث ربط الموضوعات المتنوعة ببعضهافي إطاروحدة الشعور.

الفصل الثالث :

الأساليب التصويرية في آيات العذاب و النّعيم.

المبحث الأول :

الاستفهام.

المبحث الثاني :

التمني.

المبحث الثالث :

التوكيد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يستمد التصوير الفني في حوار آيات العذاب والنّعيم جمالياته من الأساليب البلاغية المعبر بها عن الغرض الديني. وقد وقفنا في هذه الدراسة الفنّية على جملة من الأساليب، التي تجعلنا نؤكد أن التصوير الفنّي يقوم أساسا عليها، فمنها تكونت بنيته، ومنها استمدت دلالته الجمالية والتعبيرية، هذه الأساليب نوردها في الآتي :

1- الاستفهام.

2- التمني.

3- التوكيد.

وقد تم اختيارنا لهذه الأساليب الفنّية لعلة واحدة؛ أساسها انفراد كل مجموعة من الحوارات بأسلوب بلاغي، إذ كان للتمنّي حضور قوي في آيات الحوار الذاتي خاصة، وكان للاستفهام تواتر في مجموعة من الحوارات سوف نذكرها في مواطنها، وانفراد الحوار في آيات النّعيم خاصة بالتوكيد وفي بعض آيات العذاب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :

الاستفهام.

يعتبر الاستفهام من الأساليب البلاغية، التي كان لها حضور قوي وجلي في حوارات آيات العذاب والنّعيم في القرآن الكريم وقد عرفه العلماء بتعاريف منها :

1- << **طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، فقولنا : طلب المراد عام فيه وفي الأمر، وقولنا على جهة الاستعلام يخرج منه الأمر، فإنه طلب المراد على جهة التحصيل والإيجاد**>>[1].

2- أو هو << **طلب الفهم بأداة مخصوصة، أو : هو طلب الجواب مع سبق جهل المستفهم أو هو : تنبيه السامع إلى نفسه فيخجل** ويرتدع ويعي الجواب >>[2]

3- أو بمعنى آخر << ... الاستفهام ... **طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة** >>[3].

4- أو هو << ... **طلب حصول صورة الشيء المستفهم عنه في ذهن المستفهم (اسم الفاعل) بأدوات مخصوصة**>>[4].

وإذا كان المراد من الاستفهام - حسب هذه التعاريف - هو الاستعلام. فهل المراد من استفهامات آيات الحوار مجرد الاستعلام، أم أنها تدل على معان بلاغية أخرى؟

جاء الاستفهام في حوارات عديدة هي :

1- حوار الله عزوجل مع أهل النّار.

2- حواره عزوجل مع جهنّم .

3- حوار أهل النّار فيما بينهم.

4- حوارهم مع الأعضاء.

5- حوارهم مع الملائكة.

وسنحاول من خلال الجداول تبيان آيات الاستفهام في هذه الحوارات، مع ذكر الأدوات. بادئين بحوار الله عزوجل مع أهل النّار.

1- كتاب الطراز/يحيى بن حمزة العلوي/ج3/ص291.

2- الجملة الفعلية استفهامية و مؤكدة في شعر المتنبي/زين كامل الخويسكي/مؤسسة شباب الجامعة: اسكندرية/دط/1986م/ص3.

3- علم المعاني/عبدالعزيز عتيق/ص91.

4- الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية/عبدالعزيز أبو سريع ياسين/مطبعة السعادة : عمان/ط1/1410هـ-1989م/ص188-189.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- حوار الله عز و جل مع أهل النّار :

النصوص القرآنية	أدوات الاستفهام	العدد
1- ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۞ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام : 22-24.	أين	2
2- ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ القصص : 62-63.	أين	
3- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ القصص:65-66.	ماذا	1
4- ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ الأنعام : 30.	الهمزة	5
5- ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۞ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾المؤمنون:104-106.	الهمزة	
6- ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾الفرقان: 17-18.	الهمزة	
7- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾سبا : 40-41.	الهمزة	
8- ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ فاطر: 37.	الهمزة	

نستخلص من هذا الجدول أن " **الهمزة** " هي أداة الاستفهام الغالبة على الأداتين " **أين** " و " **ماذا** ".

2- حواره عز و جل مع جهنّم :

الآية	أداة الاستفهام	العـــدد
﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ ق: 30.	هل	2

3- حوار أهل النّار فيما بينهم :

النصوص القرآنية	أداة الاستفهام	العـــدد
1- ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ إبراهيم: 21.	هل	2
2- ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ الأعراف: 53.	هل	
3- ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴾ ص :62-63.	ما الهمزة	1 1

نستخلص من هذا الجدول أن أداة الاستفهام " **هل** " هي الغالبة على الأداتين " **ما** " و " **الهمزة** ".

4- حوار أهل النّار مع الأعضاء :

الآية	أداة الاستفهام	العـــدد
﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ فصلت : 21.	لم	1

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5. حوار الملائكة مع أهل النّار .

النصوص القرآنية	أداة الاستفهام	العـــــدد
1- ﴿ انَّ الذِينَ تَوَفَّاهُمُ الملائكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الارْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ ارْضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء:97	فيم الهمزة	1 1
2- ﴿ فَمَنْ اظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا اوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّونَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ الأعراف :37.	أين	1
3- ﴿ ... أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ الزمر :71.	الهمزة	2
4- ﴿ ... سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِن شَيْءٍ ان أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ الملك :8-9.	الهمزة	

نستخلص من هذا الجدول أن الهمزة هي الغالبة على الأداتين "فيم" و " أين ".

ومن كل هذه الجداول نستخلص أن عدد كل أداة استفهام على حدة كما سيأتي :

الأداة	الهمزة	هل	أين	لم	فيم	ماذا	ما
العدد	9	4	3	1	1	1	1

وعلى ضوء هذه الجداول نصل إلى أن الاستفهام يحتل المرتبة الأولى في قائمة أساليب حوارات آيات العذاب والنّعيم. أو مما يؤكد أنه من بين أهم الأساليب فيها.

أما عن أدواته، فإن الهمزة تحتل المرتبة الأولى بين أدواته، وقد بدا الاستفهام بالهمزة في ثلاث حوارات :

1- في حوار الله عزوجل مع أهل النّار.

2- في حوار الملائكة معهم،

3- في حوارهم فيما بينهم – أهل النّار–.

إذ تواتر عددها في الحوار الأول خمس مرات، وفي الثاني ثلاث مرات، وفي الثالث مرة واحدة.

والهمزة في البلاغة العربية : << ... **يطلب بها معرفة مفرد، وتسمى معرفة المفرد تصورا** >>[1] ومن استعمالاتها كذلك : << ... **أن يكون المجهول هو النسبة فيطلب بها معرفة النسبة ... وتسمى ... معرفة النسبة تصديقا** >>[2]. والسؤال المطروح :

هل وردت الهمزة في حوار الله عزوجل – كمثال – عل سبيل الاستعلام ؟ أم تعيين المفرد ؟ أم النّسبة؟ أم أن لها معان بلاغية أخرى؟.

الإجابة عن هذا السؤال تتحدد من خلال النصوص القرآنية ففي قوله عزوجل : (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) الأنعام :30. يسأل الله عزوجل أهل النّار قائلا : (أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ) طالبا منهم الإقرار، وبهذا يأتي الاستفهام هنا مخالفا لحقيقته، على أساس أنه تقريري؛ تبعا للمعنى الذي تضمنته همزة الاستفهام، الآتية للتصديق، وبالتحديد معرفة النسبة، ومن لطائف البيان هنا دخول الهمزة على النفي (أَلَيْسَ)، ونفي النفي عند علماء البلاغة إثبات، مما يؤكد أن دخولها على (لَيْسَ) الغرض منه إلجاء المسؤول إلى الاعتراف بما هو واقع فعلا. وقد كانت إجابة المسؤولين ببلى المستعملة لهذا الغرض، وبهذا يخرج الاستفهام من الاستعلام ليفيد معنى الإقرار.

وفي قوله عزوجل :(وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۞ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا) الفرقان : 17-19.

يريد الله عزوجل من المعبودات في هذا الموقف تعيين المفرد، وذلك في أول آية من هذه المحاورة : (أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ)الفرقان:17. وبما أن << **الاستفهام على الله عزوجل محال** >>[3]فقد دل

1- علم المعاني/عبدالعزيز عتيق/ص89.

2- المرجع نفسه/ص90.

3- الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية/عبدالعزيز أبو سريع ياسين/ص8.

هذا الاستفهام على << **استفهام العالم بالشيء مع علمه به** >>[1] فالهدف من تعيين المفرد ليس الاستعلام، فالله عزوجل أعلم بخلقه وبأفعالهم، لأنه يريد من المسؤول تعيين المفرد الذي قام بفعل الإضلال. وبهذا فالاستفهام هذا للتقرير الذي معناه : << **حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده** >>[2]. والأمر المستقر عند المسؤول هو الفاعل المضل الذي كشف عنه بهذه الإجابة الحكيمة : (قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) الفرقان : 18. فبهذه الإجابة نفت المعبودات شركها بالله عزوجل، وأسند فعل الضلالة للمشركين بالإقرار بما كان واقعا منهم؛ كنسيانهم الذكر. ومن هذا التحليل نصل إلى أن الهمزة في هذا الاستفهام قد جاءت للتصوّر، أي تعيين المفرد القائم بفعل الإضلال .

وعليه فما جاء << **على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل، فيستفهم عنه نفسه تخبره به، إذ قد وضعه الله عندها ... ومعنى ذلك أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه، فإن الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء، وإنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء، فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن، وهو في كلام البشر مختلف** >>[3].

وخلاصة القول :

جاءت الهمزة في الحوارين مرة للتصديق، والأخرى للتصور، علاوة على هذا، فالغرض من هذين الاستفهامين هو إبلاغ قرآني للإنسان في كل زمان ومكان، بما سيقع أو سوف يقع يوم القيامة من حوار، الهدف منه الإقرار بالحق، بواسطة الاستفهام المجرد من الاستعلام. فالتشنيع بأعمال المشركين والمكذبين بالبعث، كان الرسالة القرآنية لكل إنسان تسوّل له نفسه العبث بالحق والإغراق في الشهوات.

عرفنا أن الاستفهام في الأصل هو << **طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة، ولكن أدوات الاستفهام قد تخرج عن معانيها إلى معان أخرى على سبيل المجاز تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال** >>[4]، وقد خرج الاستفهام في بعض حوارات آيات العذاب والنّعيم من معناه الأصلي إلى معان أخرى منها التوبيخ، ففي قوله عزوجل :(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) الأعراف: 37. جاء الاستفهام في هذا الموقف للتوبيخ والتقرير، وقد كانت أداته " **أين**" التي

1- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان/ابن القيم الجوزية/ص158.

2- البرهان في علوم القرآن/الزركشي/تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم/دار المعرفة : بيروت/دط/دت/ج2/ص231.

3- المصدر نفسه/ص327.

4- علم المعاني/عبدالعزيز عتيق/ص95.

تستعمل للاستفهام عن المكان، ورغم هذا الاستعمال فقد جاءت مناسبة في هذا المقام، لأن المضلين والضالين كان يجمعهم مكان واحد في السابق. لكن في هذه اللحظات الرهيبة والعسيرة، يأتي الملائكة بالاستفهام بأين للتبكيت والتعنيف، علما منها أن ما ادعوه من دون الله لن يكون لهم من الأمر شيء، فهم مخلوقون عاجزون أيضا. وقد ساعد هذا الأسلوب بأداته هاته على التحام الإقناع المنطقي بالتأثير العاطفي، إذ تجسدت من خلال الإجابة صورة نفسية جديدة غير مألوفة لهؤلاء المكذبين، وهم يعانون الألم أثناء افتراق الروح عن الجسد، وفي زمن إبصارهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح، فهي تلهو به في كل مكان! لتستمد الحادثة صورة سوداوية قاتمة من ألوان التعنيف والتوبيخ و الإقرار!.

وقد << **يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على أن المستفهم عنه أمر منكر عرفا أو شرعا** >>[1].

ومن الحوارات القرآنية التي يخرج فيها الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى الإنكار قوله عزوجل : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۞ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) فاطر: 36-37. إن المقارنة بين هذا الاستفهام وبين الاستفهامات التقريرية السابقة، تبين أن هذا الاستفهام في حد ذاته إجابة لما تضمنه من إثبات، واللطيفة القرآنية هي أن المسؤول عنه (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ) لفظ وضع للاستخبار، لكن << **معناه معنى إخبار، كأنه قيل : قد عمرناكم وجاءكم النذير** >>[2]. فهذه الطريقة الفنّية المتمثلة في العدول عن طريقة إلى طريقة أخرى، تتناسق والموقف؛ فالموقف ليس للاستعلام من الله عزوجل، لأنه موقف للتوبيخ والتعنيف، فأهل النّار يسألون الخروج من النّار، لأنهم لم يقدروا على قساوتها، متوجهين إلى الله عزوجل بهذا النداء : (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) فاطر: 37. وقد كان الرد بالسلب عن طريق الاستفهام الإنكاري :(أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) فاطر : 37. و مثل هذا الاستفهام فإن الغرض منه إثبات حصول صفة التعمير أو نفيها، فالهمزة هنا جاءت للتصديق، أي لإثبات نسبة وقوع شيء أو نفيه في الخارج. وقد دخلت على نفي (أَوَلَمْ) ودخولها يعني أن تفي النفي إثبات، و<< **حاصله راجع إلى تثبيت السامع على فساد ذلك الشيء حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتد عنه** >>[3]. وقد كانت ميزته المبالغة في احتقار المسؤول جزاء له بسبب إسناد الفعل إليه، فعل المعصية واللامبالاة بمجيء النذير.

1- علم المعاني/عبدالعزيز عتيق/ص102.

2- الكشاف/الزمخشري/ج3/ص616.

3- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان/ابن القيم الجوزية/ص158.

ورغم خروج الاستفهام من معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى كما رأيناه فقد رصدنا مواطن له، تفيد الاستعلام مثل قوله عزوجل :(وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) ابراهيم : 21. للاستفهام بهل **معنى واحد** في كتب البلاغة، وهي أنها تستعمل للتصديق لا غير، أو إدراك النسبة، بإثبات شيئ أو نفيه، أو الاستفهام عن << **وجود شيئ لشيئ أو عدم وجوده له** >>[1] فالضعفاء في هذا الموقف الرهيب يسألون المستكبرين ما إن كان في مقدورهم أن يتحملوا شيئا من عذابهم، أو يدفعونه عنهم، وعلى هذا الأساس فالاستفهام هنا للاستعلام، (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) فالسائلون يبدون في حالة استعلام استعجالي، إذ ركز الطلب حول المشكلة الأساسية؛ في ما إذا كان وجود المتبوعين لتحمل نصيب من العذاب، أو عدم وجودهم له في هذا الموقف الرهيب ! ولأجل العجز الموجود، فالرد الفوري كان بالسلب؛ إذ رد المتبوعون قائلين : (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) ! فهذا الجواب يؤكد حقيقة الأمر المتمثلة في كون انتفاء الجزاء الإيجابي ترتب على انتفاء وقوع الشرط في الواقع، وهو تحقق الهداية. ولهذا كان الاستفهام " **بهل** " مطابقا لمقتضى الحال، إذ دل استعمالها على التمنّي والاستعلام في الوقت ذاته.

ومن بين الاستفهامات القرآنية في آيات العذاب والنّعيم ، التي بدا فيها طلب الاستعلام أيضا، قوله عزوجل : (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فصلت: 21. فمن خلال هذا النظم القرآني المتميز، نلمح بوضوح صورة نفسية تدل دلالة قوية على الإحباط، نلمحها من خلال هذا الاستفهام الموجز المتسع لمعنيين؛ معنى الاستعلام، و معنى الإنكار؛ إنكار الفعل أو الحدث، إذ يوحي التركيب الجملي بأن استعلام أهل النّار مشبع بإنكار شديد، يدل على تعجب شديد من رد فعل الأعضاء، فأهل النّار يسألون أعضاءهم عن السبب الذي جعلهم ينطقون، في الوقت ذاته ينكرون صنيعها، و من هنا فالغرض من الاستفهام الملامة مع طلب حصول العلم، بسبب الإدلاء بالشهادة ضدهم.

وخلاصة القول :

للاستفهام في حوارات آيات العذاب والنّعيم في القرآن الكريم شأن بلاغي، وتبليغي هام، إلا أنه خرج في أغلب الحوارات القرآنية من معناه الأصلي الاستعلام – إلا في القليل من النصوص – إلى معان بلاغية أخرى أبرزها : – **التقرير.**

– **الإنكار.**

– **التوبيخ.**

– **التعجب.**

1– علم المعاني/عبد العزيز عتيق/ص92.

جمع الاستفهام بين أمرين متلازمين؛ هما الفن البلاغي والحق، إذ بدا الأول في حسن التآليف والتعابير المتنوعة، وبدا الثاني في إقرار المستَفْهَمين. ومن هنا فالقيمة التعبيرية للاستفهام تكمن أساسا في مدى إبراز القيم الشعورية ضمن مجموعة من الصور الدالة على النفوس المنكسرة، ذات منطق متولد من إدراكها الواعي لهول المواقف التي تعيشها، أو من إدراكها للبيئة الخارجية للعذاب.

وقد كانت أهم أدوات الاستفهام المستعملة هي الهمزة، حيث تواتر عددها تسع مرات بالمقارنة مع الأدوات الأخرى، وهذا لمالها من قيمة بلاغية؛ في توكيد المعنى من خلال تقريرات الشخصيات، ولهذه الأهمية قمنا برسم مخطط بياني أبرزنا فيه مدى تباين أدوات الاستفهام في حوارات آيات العذاب والنّعيم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أدوات الاستفهام : تباينها في حوارات آيات العذاب و النّعيم في القرآن الكريم

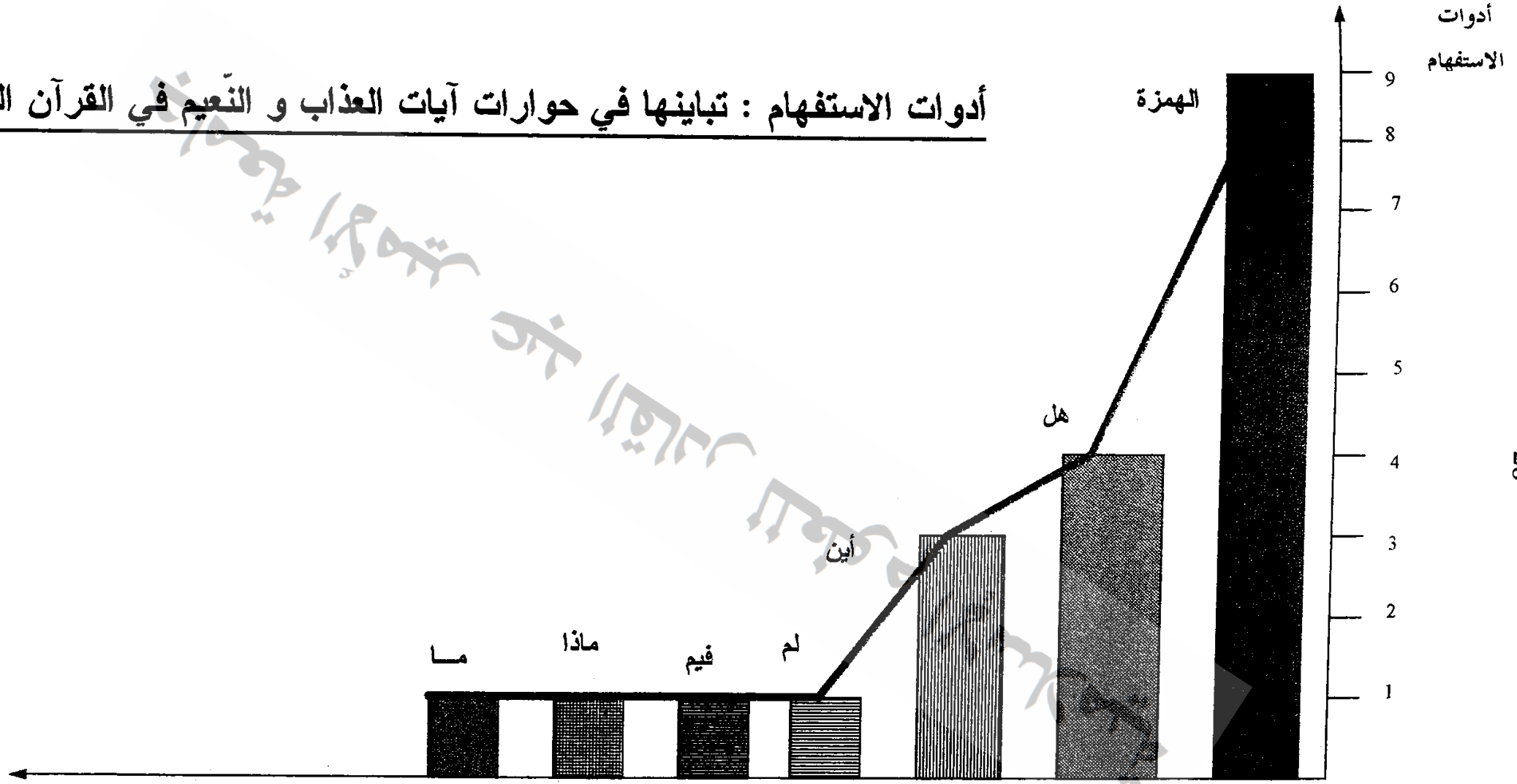

المبحث الثاني :

التمنّي.

من الأساليب البلاغية الفنّية والحاضرة بقوة في حوارات آيات العذاب والنّعيم أسلوب التمنّي، الذي يعرفه علماء البلاغة بقولهم :

1- << **هو عبارة عن توقع أمر محبوب في المستقبل والكلمة الموضوعة له حقيقة هي (ليث) وحدها ...**>>[1].

2- أو هو << **طلب حصول الشيء بشرط المحبة ونفي الطماعية في ذلك الشيء**>>[2].

3- أو << **هو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلا، والإنسان كثيرا ما يحب المستحيل ويطلبه، وإما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله** >>[3] .

4- أو هو<< **طلب أمر محبوب يستحيل تحققه، والأدوات الخاصة به ليت** >>[4].

هذه التعاريف المهمة ندخل بها إلى موضوع التمنّي في حوارات آيات العذاب، والدخول إليه يكون وفق مجموعتين من النصوص :

أ- الأولى ويتوفر فيها التمنّي مقرونا بالأداة والجملة.

ب- أما الثانية فقد احتوت نصوصا قرآنية – حوارات – خلت من أدوات التمنّي، لكنها أوحت به من خلال العبارات والصور، والشخصيات الناطقة وبعض الأساليب البلاغية الأخرى.

ولتقريب المعنى إلى الذهن أكثر بخصوص المجموعة الأولى، فقد بدا أسلوب التمنّي بقوة في آيات الحوار الذاتي خاصة، وقد كانت الأداة المعبر عنها في معظمها " ليت "[5]. و " **ليث** " هنا هي << **اللفظ الموضوع – على سبيل الحقيقة – للتمنّي** ...>>[6]، ولقد كان التعبير بليث في هذه النصوص بقصد طلب شيء محبوب يستحيل تحققه، وينتفي إمكان نيله، فبالرغم من تنوع موضوعات الحوار الذاتي من حوار إلى آخر، عرض التصوير القرآني نفوسا هدّها الندم، ولذعتها نيران الأمنيات النابعة من عمق المحنة التي تعيشها. فإذا كانت حرية التعبير الصادق حق للكثير من الشخصيات الكافرة في الآخرة، فإن الحرية في تحقيق الأمنيات وتجسيدها كما ترجوها غير ممكن؛ لأنها بعيدة المنال، إذ تبقى مجرد أمنيات يرجى حصولها ولا تتحقق!.

ومع " **ليث** " نلحظ أدوات أخرى تتشكل معها في إطار التمنّي منها " **لو**" و" **هل** " اللتان تساهمان في ربط الآيات القرآنية ببعضها البعض في إطار شعوري متقارب، يزيد الصورة النفسية اتساعا.

1- كتاب الطراز/يحيى بن حمزة العلوي/ج3/ص291.

2- الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية/عبدالعزيز أبو سريع ياسين/ص188-189.

3- علم المعاني/عبدالعزيز عتيق/ص211.

4- تطبيقات نحوية و بلاغية/عبدالعال سالم مكرم/دار البحوث العلمية : الكويت/ط1/1395هـ-1975م/ج2/ص308.

5- انظر الفصل السابق/مبحث الحوار الذاتي/ من ص52 إلى ص55.

6- الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية/ص190.

إذا كان " **لليث** " في الحوارات الذاتية حضور قوي، وكان معناها من خلال السياق طلب الحصول على اللاممكنات أو المستحيلات، فإن للو حضور آخر قوي، يحمل المعنى نفسه، لكنه ينفرد بخصوصية في إطار النظم القرآني، وذلك في قوله عزوجل :

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

الزمـــــر: 55-58.

تفرد هذا النّص من مجموعة آيات الحوار الذاتي بالتعبير بالأداة " **لو**" كأداة من أدوات أسلوب التمنّي، ولو عند البلاغيين << أداة شرط في الماضي أي **لتعليق حصول مضمون الجزاء على مضمون الشرط في الماضي فرضا، مع القطع بانتفاء الشرط في الواقع، فيترتب عليه انتفاء الجزاء** >>[1] وبمعنى آخر، تعتبر " **لو**" << **أداة شرط ومعناها امتناع الشيء لامتناع غيره** >>[2]. وقد لمسنا في الآي القرآنية امتناع الشيء لامتناع غيره، إذ توفرت في الآية الثالثة جملتان أساسيتان، هما جملة الشرط، وجملة الجزاء، فجملة الشرط هي (لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي)، وجملة الجزاء هي (لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) فامتناع تحقق التقوى في الماضي حدث لامتناع هداية الله عزوجل لهذه النفس في الماضي أيضا، ومن ثم ترتب على انتفاء الشرط في الواقع انتفاء الجزاء كذلك، وعلى هذا الأساس فالجملتان القرآنيتان متلازمتان. إذ تبقى " **لو**" في هذا الموقف الحرج وغيره مجرد أداة للتمنّي لا غير، لأنها لن تغير من الواقع الأخروي شيئا!.

و للأساليب البلاغية الأخرى كالأمر والدعاء مساهمة أخرى في ربط الآيات القرآنية في بعضها البعض في إطار وحدة الأسلوب -أسلوب التمنّي - ففي قوله عزوجل :

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾

الزخرف:77.

يتجلى التمنّي بصورة واضحة من خلال اجتماع ثلاثة صيغ بلاغية؛ هي النّداء والدعاء والتوكيد. إذ يتوجه أهل النّار بعد أن أحبط العذاب الجسدي نفسياتهم إلى مالك خازن النّار بهذا النداء : (يَا مَالِكُ) والنّداء في العربية << **هو توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه للاصغاء ، وسماع ما يريده المتكلم** >>[3]. فقد توهم أهل النّار في زمن العجز أن المنادى عليه سوف يلبي النّداء، ولهذا طلبوا منه جماعة قائلين : (لِيَقْضِ

1- من سمات التراكيب -دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني-/ عبد السارحسين زموط/ص325.

2-الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية/عبدالعزيز أبو سريع ياسين/ص194.

3- النحو الوافي/عباس حسن/دار المعارف : القاهرة/ط8/دت/ج4/ص1.

عَلَيْنَا رَبُّكَ). إذ تضمن هذا الطلب المباشر أمنية عظيمة من خلال الدعاء،على أساس أن اللام في (ليقض) هي << **لام الأمر بمعنى الدعاء** >>[1]، وباعتبار هذا الأخير هو << **الطلب على سبيل التضرع والخضوع** >>[2]؛ فقد أبدى أهل النّار تضرعا وخشوعا دالا على الانكسار من جهة، وعلى التمنّي من جهة أخرى. الذي دل طلب الحصول على الموت لشدة ما نابهم.

علاوة على هذا تأتي الجملة الأخيرة من هذه المحاورة لتقف بين أهل النّار وبين أمنيتهم، إذ يجيبهم (مَالِكٌ) قائلا : (إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ)؛ و بهذه الإجابة المؤكدة، حقق التمنّي معناه في طلب الحصول على أمر محبوب، لا يرجى حصوله. فإذا كانت جملة الدعاء (لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) هي طلب الحصول على أمر محبوب، فإن جملة (إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ) هي جملة التوكيد القاطع بالبقاء في العذاب، وبعد م الحصول على الأمر المحبوب، والمرتجى تحققه.

وفي قوله عزوجل :

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾

الحديد : 13.

تضمنت الآية الكريمة أسلوبا بلاغيا؛ هو أسلوب الأمر، ومعنى الأمر << **طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظرالآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه، أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا** >>[3]، وهو بمعنى مختصر << **طلب حصول الفعل من المخاطب: على وجه الاستعلاء مع الإلزام** >>[4]. وقد بدا هذا الأسلوب في طلب المنافقين والمنافقات :(انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُّورِكُمْ) و (انظُرُونَا) هي الفعل الدال على الأمر. ولكن هل يدل حقيقة على الأمر بكل مميزاته ؟

يتضمن الفعل (انظُرُونَا) معنى الأمر، ولكن ينقصه الاستعلاء والإلزام، فمن خلال ما توحيه الصورة القرآنية، فإن أهل الجنّة هم أعلى منزلة من المنافقين و المنافقات، بدليل النور الذي وهبوه، والمنزلة التي أنزلوها.

ومن هذا يمكننا أن نطرح سؤالا آخر : هل خرج الأمر هنا عن معناه الأصلي إلى معنى بلاغي آخر؟

1- تفسير التحرير و التنوير/مج(25-26) ج25/ص260.

2- الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية/عبدالعزيز أبو سريع ياسين/ص310.

3- علم المعاني/عبدالعزيز عتيق/ص75.

4- جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع/أحمد الهاشمي/دار إحياء التراث العربي: بيروت/دط/دت/ص77-78.

نقول : نعم، فقد خرج الأمر هنا عن معناه الأصلي ليدل على معنى آخر؛ دلت عليه حالة المنافقين والمنافقات، عندما طلبوا من المؤمنين الانتظار ، الذي كان بسبب الرغبة، المتمثلة في الاقتباس من النور. وهذه الرغبة تعني معنى آخر وهو التمنّي، فقد استبد الطمع بالمنافقين والمنافقات للاقتباس من النور، حتى توهموا أنهم في مقام المؤمنين على وجه التسوية! فهل حققوا الأمنية ؟

لقد كان للملائكة دور وتدخل في مجال المحاورة هنا؛ إذ وقفوا حائلا بين المنافقين والمنافقات وبين أمنيتهم، إذ أمروهم بالتراجع (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) .

وخلاصة القول :

خرج الأمر من معناه الأصلي إلى معنى التمنّي. وقد حقق التمنّي معناه مرة أخرى، ومغزاه في تصوير خيبة الآمال؛ خاصة بعد ما حيل بين المنافقين والمنافقات وبين أمنية الاقتباس من النور، وذلك بضرب السور بينهم وبين أهل الجنّة.

وخلاصة القول من هذه الدراسة البسيطة ما يلي :

احتل التمنّي في آيات العذاب والنّعيم موقعا تصويرياً هاما؛ إذ أتى للتعبير عن حالات انفعالية بسبب مؤثرات خارجية؛ هذه المؤثرات تتمثل في إدراك الذات المنفعلة للبيئة الخارجية للعذاب المحيطة بها بديكوراتها المختلفة.

وقد بلغ الانفعال ذروته في آيات الحوار الذاتي و في الآيات الأخرى، إذ استمد قوته من التمنّي، الذي يعتبر الإطار العام الجامع بين النصوص المتنوعة، مما أكسبها وحدة الأسلوب، وطبعها بوحدة الفن. وقد اتخذت الصورة القرآنية << **ألوانها وأجزاءها وحركاتها** ... >>[1] من جملة الاعترافات المعبرة عن النقد الذاتي المباشر؛ إذ كان التمنّي هو أسلوب التفكير والتعبير ومن ثم التصوير. فغايته الجمالية والدينية تكمنان في مدى إبراز الصور النفسية والفكرية لهذه الذوات، وهي تلاقي مصيرها المحتوم. فالقيمة الفنية للشخصيات المنفعلة في إطار التمنّي أنها << ... **شخصية واحدة ينتظم داخلها هذا التيار الشعوري المقسم إلى حالات**>>[2].

بالإضافة إلى هذا، فقد جاءت لغة التمنّي واضحة، قائمة على السرد المباشر، وعلى الاسترجاع الإرادي للماضي في شكل اعترافات – آيات – موجزات. تعمل على التقريب بين صور الماضي وصور المستقبل الأخروي.

1- الأسلوب-دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية-/أحمد الشايب/مكتبة النهضة المصرية : القاهرة/ط8/1412هـ-1993م/ص80.

2- محاورات اليوم السابع/غالي شكري/ص171.

المبحث الثالث :

التوكيد.

إذا كنا قد وجدنا ايات العذاب – فيما سبق – وهي تترى وفق الاستفهام والتمنّي، تبعا لمقتضى الحال، فإننا نجد التوكيد هنا مشتركا بين آيات العذاب وآيات النّعيم. فمن << **خصائص التعبير القرآني أنه يستخدم التوكيد في مواضع متعددة ... تستدعي تأكيد محتوى الجملة قصد تمكين المعنى في نفس السامع ...** >>[1]. ومن بين الحورات التي بدا فيها هذا الأسلوب البلاغي جليا:

1- حوار أهل الجنّة.

2- حوار أهل النّار.

فمن آيات النّعيم قوله عزوجل :

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۞ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۞ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾

الطور :25-28.

فمن خلال التراكيب الجملية، يتضح أن أداة التوكيد (إنّا) جاءت في جملتين هما :

﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ الطور:26.

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ الطور :.28

فمجيء التوكيد بهذه الطريقة التركيبية الخاصة؛ مناسبا تماما لمقتضى الحال فالظاهر من << **إرادة التوكيد إرادة المتكلم في إثبات أمر من الأمور على نحو يبتعد عن مقام الشك والضعف ...**>> [2]. وعليه فللتوكيد رسالة قيمة في توكيد النّعيم الأخروي، وتوكيد أسبابه؛ فمن قولهم :(إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ)الطور:26. تقريرعن الحال التي كانوا عليها في السابق؛ وهي الإشفاق من الله عزوجل. ومن قولهم : (إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) الطور:28. تقرير آخر عن الحال التي كانوا عليها من الإخلاص في الدعاء. فجدوى << **التأكيد أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه وأمطت شبهة ربما خالجته أو توهمت غفلة وذهابا عما أنت بصدده فأزلته** >>[3]. وللتوكيد من الناحية النفسية دلالة واضحة على أن أهل الجنّة يقيمون فيها براحة واطمئنان لا تحدهما حدود، وعلى حسن العلاقة بينهم وبين الله عزوجل.

1- سورة الفرقان-دراسة أسلوبية-/عزيز عدمان/ص220.

2- من أساليب القرآن/إبراهيم السامرائي/مؤسسة الرسالة : بيروت-دار الفرقان : عمان/ط1/1403هـ-1983م/ص64.

3- سورة الفرقان/ص220.

وفي الحوار الذي دار بين أهل النّار يستمد التوكيد بلاغة من أسلوب آخر؛ وهو أسلوب الفصل والوصل، ومعناه في البلاغة العربية << ... **العلم بمواضع العطف والاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها وهو أعظم أركان البلاغة حتى قال بعضهم حد البلاغة معرفة الفصل والوصل** >>[1]. على اعتبار أنه << **ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه : << إنه خفي غامض، ودقيق صعب >> إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب** >>[2]. ومعنى الفصل << **قطع معنى عن معنى بأداة لغرض بلاغي**>>[3].

ومعنى الوصل <<**ربط معنى بمعنى بأداة لغرض بلاغي**>>[4]ومن بين النصوص القرآنية الكريمة التي بدا فيها هذا الأسلوب إلى جانب التوكيد قوله عزوجل :

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۞ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ۞ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ۞ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾.

الصافات : 27-32.

فما يميز هذا النّص الكريم هو الفصل الشديد بين آياته التي تبدو مترابطة من ناحية المعنى الكلي، فالنّص محاورة ومجادلة بين التابع والمتبوع، فكل واحد منهم يبدو ساخطا على الآخر، إذ يتباريان في هذا المشهد التصويري. ولأجل هذه الحالة الوجدانية يأتي الفصل بين الجمل متسقا مع شخصية المتحاورين. فعندما نشرح النص تشريحا أسلوبيا، يفاجأنا بأسراره الكثيرة. ومن أهم المواطن التي يكون فيها الفصل بين الجمل << **أن يكون بين الجملتين اتحاد تام ، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى، أو بيانا لها، أو بدلا منها. ويقال حينئذ إن بين الجملتين** << **كمال الاتصال** >>... >>[5]. ومن المواطن التي يكون فيها أيضا أن يكون بين الجملتين << **تباين تام، وذلك بأن تختلفا خبرا و إنشاء، أو بألا تكون بينهما مناسبة ما، ويقال حينئذ إن بين الجملتين** << **كمال الانقطاع** >> ... >>[6].

ومما عزز الفصل بين هذه الآيات جملة من الأدوات هي "**بل** " و " **واو** " الاستئناف و" **الفاء** ". ففي جملتي المحاورة الأولتين (قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۞ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) الصافات : 28-29. يتجلى الفصل بتبادل المتحاورين التهم، فالتابعون يؤكدون للمتبوعين أنهم سبب غوايتهم وإضلالهم، والمتبوعون ينفون عن أنفسهم سبب الإضلال؛ معللين ذلك بعدم إيمان التابعين. وعلاوة على هذا المعنى المتضمن، فالجملتان تختلفان خبرا وإنشاء؛ إذ جاءت الجملة الأولى من الحوار مؤكدة " **بإن** " المفيدة لإثبات

1- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان/ابن القيم الجوزية/ص185.

2- دلائل الإعجاز /عبدالقاهر الجرجاني/ص231.

3- بلاغة الكلمة و الجملة و الجمل/منير سلطان/ص192.

4- المرجع نفسه/ص ن.

5- علم المعاني عبدالعزيز عتيق/ص161.

6- المرجع نفسه/ص163.

الخبر وتوكيده وتقريره. وجاءت الثانية منفية بأداة النفي " لم". وهذا الاختلاف في الخبر والإنشاء ساهم إلى حد ما في الفصل بين الجملتين، مما يؤكد ما بينهما من كمال الانقطاع، إذ يأتي الإثبات مقابل النفي فيهما.

ولكمال الانقطاع في جمل التصادم دور بلاغي تصويري، هذه الجمل هي : (قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ) الصافات :29-30. إذ يبدو الانقطاع بين (قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ). وبين : (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ). فرغم التقائهما من الناحية الإنشائية؛ نفي مقابل نفي. فالذي عزز الانقطاع هو الاختلاف والتباين في الخبر؛ إذ يأتي نفي الإيمان عن التابعين مقابل نفي القدرة على التسيير عن المتبوعين . ويأتي الانقطاع والفصل كذلك بين الجملة الثانية والثالثة؛ للتباين من ناحية الخبر والإنشاء فقد أشارت (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ) إلى نفي قدرة التسيير عن المتبوعين، في حين أشارت الثانية (بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ) إلى نسبة الطغيان إلى التابعين. وقد عزز هذا الفصل الشديد بين الجملتين أسلوب الإنشاء؛ إذ يقابل النفي الإثبات؛ بسبب الفصل بينهما بالأداة " **بل** " والتي تفيد معنى الانقطاع.

إن الوقوف على الجانب الشكلي في هذه المحاورة القرآنية لا يكفي للغوص في أعماقها. فقد ذكرنا سابقا أن العلاقة بين الطرفين كانت سببا لإيجاد هذا الجو المليء بالبغضاء والتهم، مما ساعد على الانفصال الشديد في المشاعر والأفكار والمواقف. فمما لا شك فيه أن " الفصلَ وَالوصل " جاء مناسبا لمقتضى الحال، إذ كشف عن هندسة نفسية وفكرية جديدة لطرفين جمع بينهما الضلال في الدنيا، و فرق بينهما صدق الوعد في الآخرة.

وإذا كان كمال الانقطاع هو السمة البلاغية بين جمل هذه المحاورة، نلمح << **التوسط بين الكمالين مع وجود المانع** >>[1] بين جملتين (قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ). و(بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ). إذ نجد تناسبا معنويا بينهما رغم الاختلاف من ناحية الإنشاء والخبر، نفي مقابل إثبات؛ فعدم الإيمان يؤدي حتما إلى الطغيان ، فهو ينشأ ويتولد منه. وقد حال بينهما المانع المتمثل في نفي الإجبار؛ (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ) الصافات : 27.

وفي الجملتين الأخيرتين يبدو << **شبه كمال الاتصال** >>[2] بينهما شديدا؛ إذ تأتي الجملة الثانية مرتبطة بالأولى، لأنها سبب لها، أو بتعبير آخر أن العذاب كان ناتجا عن الغواية والإضلال. هاتان الجملتان هما : (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ۞ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) الصافات : 31-32. وبهذا الاعتراف المؤكد " **بأن** " يسدل الستار على هذه المحاورة الفنّية .

1- جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع/أحمد الهاشمي/دار الكتب العلمية: بيروت/دط/دت/ص166.

2- المرجع نفسه/ص166.

و خلاصة القول :

استمد "التوكيد" قوته التعبيرية في هذه المحاورة من أسلوب "الفصل و الوصل"، الذي يعد من أهم أركان البلاغة في هذا المقام.

و سنحاول في المخطط التالي تبيان طريقة أو سير المحاورة بين أهل النّار في ظل "الفصل و الوصل".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

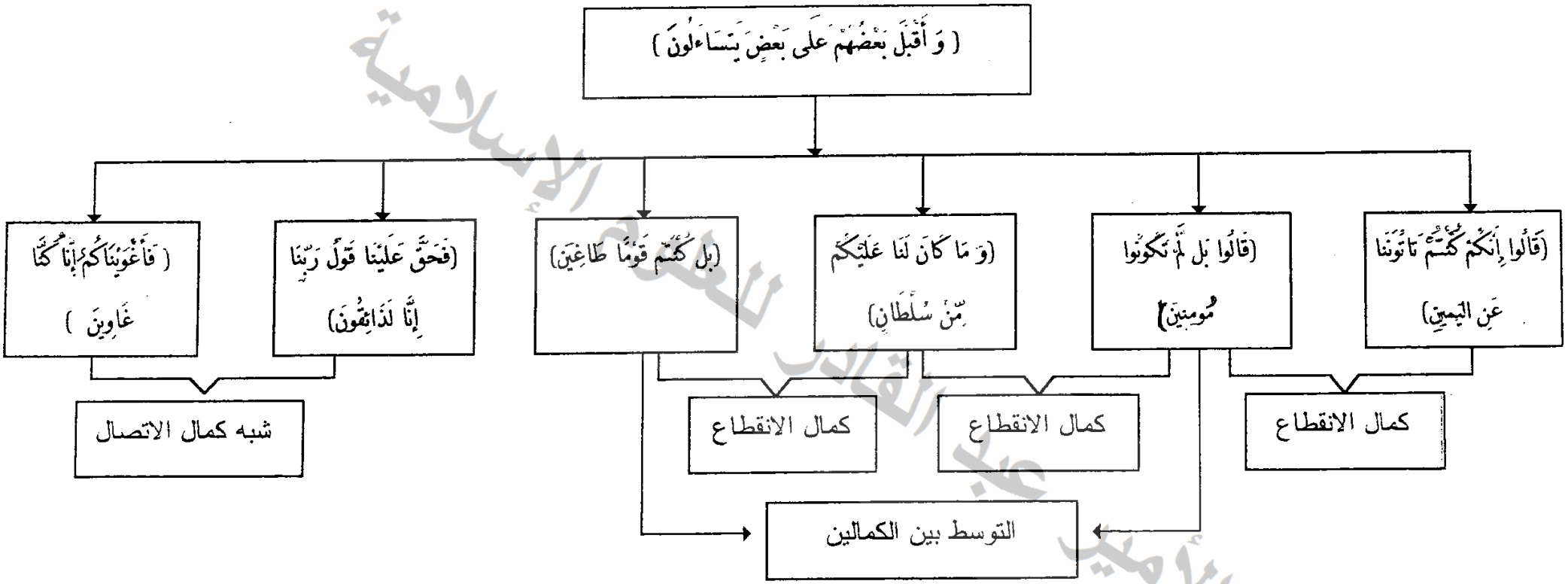

مخطط سير المحاورة بين أهل النّار في ظل "الفصل و الوصل".

الصافات (27 – 32)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وخلاصة القول من دراسة الأساليب التصويرية ما يلي :

للأساليب في حوار آيات العذاب والنّعيم قيمة تصويرية؛ تجسد ت في تسليط الأضواء على الحالات النفسية ،وعلى الطبيعة البشرية، وعلى العلاقات الإنسانية في الآخرة، وعلى علاقة الإنسان مع نفسه فيها، وعلى علاقته مع الله عزوجل. إذ خصص الجزء الأكبر من الموضوعات لكشف سلبيات الضلالة من خلال هندسة نفسية جديدة لشخصيات الآخرة.

وهذه الأساليب الجامعة بين الخبر والإنشاء، لها ميزة أخرى؛ فإذا كانت الأساليب الخبرية في كلام البشر تحتمل الصدق أو الكذب فإن المزايا الثابتة في البلاغة القرآنية أنها تستمد بهاءها الجوهري والتبليغي من الصدق العاطفي والمنطقي، فكل أسلوب خبري هو خبري ،وكل أسلوب إنشائي هو خبري. فقيمة الأساليب تكمن في الغرض الديني من الرسالة المبثوثة في تعابيرها وأفكارها. فالقصد هو التعبير عن الجانب الغيبي في صور ومشاهد مختلفة ليتعظ الناس في الدنيا؛ حتى لا تكون لهم حجة ويوم الجزاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبرز الأساليب في حوارات آيات العذاب و النّعيم في القرآن الكريم.

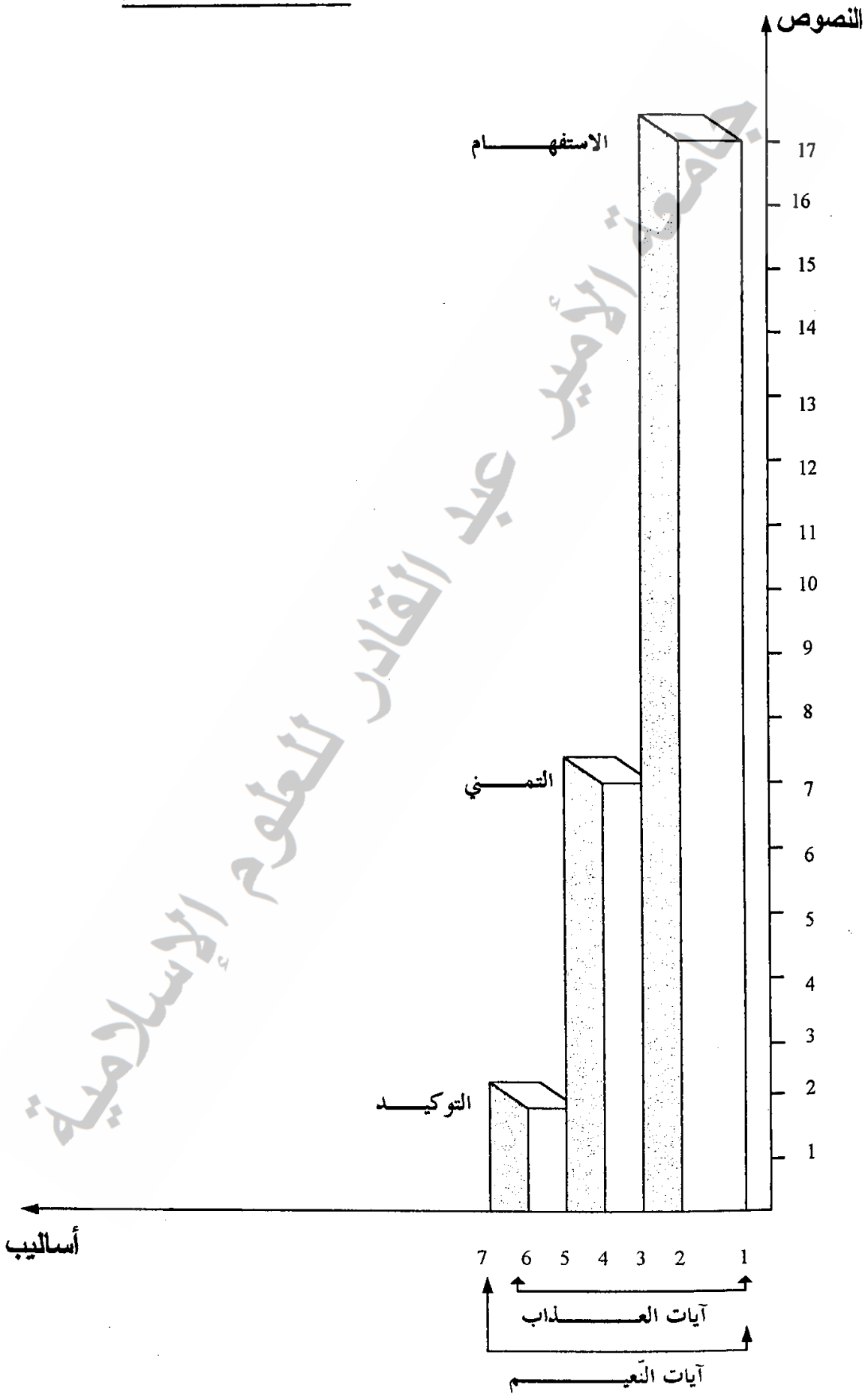

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع :

القوالب التصويرية في آيات العذاب و النّعيم.

المبحث الأول :

المسرح.

المبحث الثاني :

القصة.

المبحث الثالث :

الخطابة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من مواطن الإعجاز القرآني في آيات العذاب و النّعيم ما نقرأه في جملة من الآيات التي تشكلت في قوالب فنية راقية؛ و منها المسرح و الخطابة و القصة، و هي القوالب التي سنحاول أن ندرسها في الآتي، مبرزين من خلالها روعة النص القرآني، و كثافة التنوع الجمالي فيه.

المسرح.

تعتبر آيات العذاب و النّعيم في جانبها الحواري التصويري دراما فنية مترابطة، ذات فصول متنوعة. و من أبرز النصوص القرآنية الطويلة التي بدا فيها فن المسرح بجلاء ، قوله عز وجل :

﴿ وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ اجَلٌ فَإِذَا جَاءَ اجَلُهُمْ لَا يَسْتَاخِرُونَ سَاعَةً وَ لَايَسْتَقْدِمُونَ ۞ يَا بَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَاتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ فَمَنْ اظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا اوْ كَذَّبَ بِئَايَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِّنَ الكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَ شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۞ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِّنَ الجِنِّ وَ الانْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ امَّةٌ لَعَنَتْ اخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ اخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ اضَلُّونَا فَأَتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لَكِنْ لَّا تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَتْ اولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ إِنَّ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ لَايَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ ۞ لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۞ وَ الذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا الَّا وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَ قَالُوا الحَمْدُ للهِ الذِي هَدَانَا لِهَذَا وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا وَ هُمْ بِالاخِرَةِ كَافِرُونَ ۞ وَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَ عَلَى الاعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَ نَادَوْا اصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَ هُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَ إِذَا صُرِفَتْ ابْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ اصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَ نَادَى أَصْحَابُ الاعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَؤُلَاءِ الذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَايَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لَاأَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۞ وَ نَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ افِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الكَافِرِينَ ۞ الذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَ لَعِبًا وَ غَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَ مَا كَانُوا بِئَايَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ لأعراف:34-51.

لقد لمسنا في هذا النص القرآني الطويل جانبا مسرحيا – على غرار – النصوص القرآنية في آيات العذاب و النّعيم – أفصحت عنه طريقة العرض و أسلوب الحوار، الذي يعد من أهم الوسائل الإبلاغية في النّص المسرحي. و لأن الحوار هو الأسلوب الوحيد – تقريبا – في هذا النّص، ارتأينا أن نقول بأنه عبارة عن مسرحية قرآنية، على أساس كون المسرحية << **لا تروى إلا عن طريق الحوار بين الشخوص** >>[1]. و قد بدت لنا حقيقة قرآنية؛ تتمثل في كون المسرح القرآني لا يقف مع نهاية العرض؛ بل هو واقع متجدد. عكس المسرح في المفهوم الأدبي الذي يرى المسرحية حادثة محبوكة أو قصة تمثيلية تؤدى << ... **بواسطة الأحداث و الحوار على خشبة المسرح**>>[2]، تبدأ في زمن لتنتهي في زمن محدد. فالمسرحية القرآنية – حسب هذا النّص – تعتبر من بين فنون التصوير التي انتهجها التعبير القرآني للكشف عن بعض الخفايا الغيبية، فهي تعرض بالصورة والحوار جوانب من الجزاءات الحسّية و المعنوية. و عليه فتعريفنا للمسرحية القرآنية في آيات العذاب و النّعيم هي : وقائع و أحداث حقيقية << ... **تتجسد في أشخاص، و تؤدى بأسلوب الحوار، و هي ذات مغزى، أو رسالة تحملها، و توحي بها إيحاء** >> [3].

و مما لا شك فيه اعتبار عنصر الزمان من بين العناصر الهامة في الفن المسرحي، فأحداث المسرحية تجري في مرحلتين زمانيتين منفصلتين؛ زمن الاحتضار و زمن الجزاء. حيث سلطت المسرحية الضوء على لحظات الاحتضار بسرعة، و قد كانت الشخصيات البارزة أثناءه شخصيات ضالة، كان لها آخر عهد بالحياة الدنيا، إذ أن لب هذه المسرحية المعروضة يكمن أساسا في مشاهد الجزاء التي تلي لحظة الاحتضار. قال عز و جل :

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ الأعراف:37. فزمان المأساة يبدأ من الاحتضار ليتصل مباشرة بزمن الجزاء، إذ تطوى مرحلتان زمانيتان أساسيتان؛ هما مرحلة البعث، و مرحلة الحشر. و لتقريب هذه الفكرة إلى الأذهان أكثر، نجسدها في مخطط رسمي :

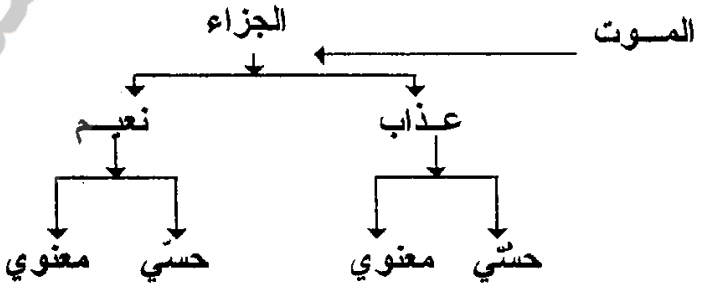

1- القصة من خلال تجاربي الذاتية/ عبد الحميد جودة السحار/ دار مصر للطباعة: مصر/ دط/دت/ ص48.

2- قاموس المصطلاحات اللغوية و الأدبية/ إميل يعقوب و آخرون/ ص73.

3- المعجم المفصل في اللغة و الأدب/ميشال عاصي و آخرون/ج2/ص1149.

فتمثيل الزمان بخط قصير ، يوحي بأن الزمان بين الاحتضار و الجزاء << **يطوى هنا طيا، و كأنما يؤخذ أولئك المحتضرون من الدار إلى النّار** >> [1].

وكما لم تتقيد المسرحية بوحدة الزمان بين مشاهدها، فإنها لم تتقيد بوحدة المكان؛ فقد توزعت مشاهدها على عدة أمكنة، كانت رقعتها الجغرافية الأولى هي الدنيا – أثناء قبض الأرواح – بعدها نقلتنا المشاهد المترابطة إلى خشبة مسرحية واحدة، قسمت تقسيما هندسيا – مستوحى من النّص القرآني – لايعلم حدوده إلا الله عزوجل.

لقد انفردت المسرحية بفنية و طريقة الحوار، إذ ترددت في مناظرها << **و مواقفها تعبيرات حوارية** >>[2]، شكلت نسيجا محكما له خط اهتمام واحد؛ إن الجزاء من جنس العمل، أو خط متصل بين المواقف المتنوعة و الشخصيات المتباينة في ردود أفعالها. و يمثل الحوار أصدق وسيلة للتصوير الدقيق للجانب البسيكولوجي، و العقليات المتباينة في الاتجاه و الفكر و العقيدة و الخاتمة.

و قد تشكل هيكل الحوار في هذا العرض المسرحي من مجموعة من الحوارات؛ فقد كان الحوار بين الملائكة الموكلين بقبض الأرواح و بين أهل النّار فاتحة المشاهد المسرحية المتتابعة؛ إذ صورت هذه البداية المسرحية جانبا من العلاقة المضطربة بين فاعل و مفعول به ؛ بتصوير لحظات الاحتضار التي تعتبر بداية المأساة و المعاناة النفسية، و قد جاءت المراجعة الكلامية بين طرفين في إطار سؤال و جواب ؛ و قد كان السؤال مباشرا و صريحا ، مشبعا بكثير من التهكم ؛ (قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) الأعراف: 37. و لأن الغرض من هذا الاستفهام الإنكاري هو إقرارهم بالجواب، فقد تحمل أهل النّار في سكرات الموت الإجابة بإيجاز بليغ؛ (قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) الأعراف: 37. وهو اعتراف صريح بأن لانصرة لهم. فهم في لحظات الاحتضار أو في ساعاتها يواجهون مصيرا محتوما، مليئا بالمخاوف و المفاجآت ! و من الملاحظات الهامة أن الفارق الزمني بين الاستهلال و العرض المسرحي للمشاهد واضح جدا، إذ نلمس من التعبير القرآني صورة الاحتضار تمرسريعة، و لهذا جاء – التعبير القرآني – عنها بإيجاز؛ فبين السؤال و الجواب لا يوجد فارق زمني، مما جعل الحدث الدرامي يمر سريعا، على أساس أن لب العرض المسرحي يتجلى في مجموعة من المشاهد التي تلي لحظة الاحتضار التي لا ترسم الهدف الإبلاغي لوحدها كاملا. و رغم هذا، فقد لمسنا جانب التناسب و الوحدة، رغم التباعد الزمني بين المرحلتين، أو بين المقدمة و العرض و الخاتمة .

1- مشاهد القيامة في القرآن / سيد قطب / ص 103 .

2- المسرح الإسلامي – روافده و مناهجه –/ أحمد شوقي قاسم / دار الفكر العربي : القاهرة / د ط / د ت / ص 367 .

و قد كان التعبير على خط الاهتمام – الجزاء من جنس العمل – مجسدا في مجموعة من المشاهد الحوارية الأخرى، إذ يكاد العرض << **ينفرد بفنية الحوار لكونه الوسيلة الأكثر ملائمة للتعبير عن جو الحركة و النشاط النفسي و الجسماني الذي يقوم عليه أساسا** >>[1]. و قد << **خضع الحوار الدرامي للتعبير عن الحالات النفسية التي تنتاب شخصياته في مختلف المواقف** >> [2]. إذا أفصح عن مجموعة من الانفعالات المتضادة؛ حيث أفصح المشهد الحواري التصويري الثاني عن التخاصم و الشقاق بين أهل النّار – من الجنّ و الإنس – قال عز و جل :(قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِّنَ الْجِنِّ وَ الإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ۞ وَ قَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ) الأعراف: 38 – 39.

يعرض المشهد القرآني حركات؛ تتمثل في حركات الدخول، حيث نرى على خشبة المسرح هذه الأمم الكافرة في حركة، لكنها ليست ككل الحركات التي اعتدناها. فالدخول إلى النّار هو النتيجة الطبيعية لعاقبتها السيئة. هذا الدخول يأتي بعد الأمر الإلهي لها، فمن وراء الستار يسمع هذا الأمر الصريح : (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَ الإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا) الأعراف: 38. فماذا تجد هذه الأمم بعد هذا الأمر

تجد هذه الأمم على الحلبة ديكورا خاصا، و تجد وسط هذا الديكور أمما من الجنّ والإنس سبق لها فعل الدخول؛ هذا الديكور الموضوع خصيصا للعذاب الحسّي و النفسي معا. و لأنهم في هذا المشهد المعروض على النظارة يدركون الصورة جيدا، يتحدد الإطار العام، و تتحدد جزئياته أمام صنفين من هذه الأمم ؛ تابع و متبوع. فبعد ما يتم فعل الادراك و يتلاحق الصنفان الضالان يبدأ الحوار بينهما بالتلاعن. قال عز و جل : (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا)، هذا التلاعن يكشف عن نفسيات محطمة يائسة، نفسيات أدركت عاقبتها، و عاقبة التبعية القائمة على الكفر بالله عز و جل. فكان رد فعلها تلاعن بعد تلاعن. و بهذه الصورة السوداء يبدو الصراع على أشده فوق خشبة المسرح القرآني، و تبدو مشكلة المحاسبة بين الأمم على أشدها؛ إذ تكشف (كُلَّمَا) عن استمرارية فعل التلاعن. و بعدما يتلاحقون كما وصفهم عز و جل : (حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا) الأعراف: 38. و بعدما تتم عملية الفرز الجماعي يتعارف أهل الباطل على بعضهم، يبدأ الحوار و المجادلة، إذ تتوجه آخر أمة دخولا إلى أول أمة دخولا باللائمة، التي يوحي بها هذا الدعاء، قال عز وجل (رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ) ! الأعراف: 38. فأهل الباطل في هذا الموقف

1- أحمد شوقي و المسرح الكلاسيكي الفرنسي – دراسة مقارنة –/ سميرة شبال/مخطوط رسالة ماجيستير/ص207.

2- المرجع نفسه/ص211.

يدعون الله عز وجل كي يضاعف لمضليهم العذاب ضعفين، ظنا منهم أنهم سبب ضلالهم، وبالتالي فدرجتهم في العذاب أقل من درجة الداعين عليهم. و بعد هذا الدعاء الذي يوحي بصورة نفسيه ذات ألوان قاتمة، ينطق صوت الحق معلنا عن قرار محكمة عادلة؛ (قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) الأعراف :38. وقد كانت هذه الإجابة الحكيمة العادلة محفزا على رد أخرمن الأمة الأولى دخولا، التي أقرت قائلة : (فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) الأعراف : 39. و بهذا الرد الفعلي الذي لا يقبل أي تأويل حسن لمثل هذه السلوكات الجماعية، تسير المسرحية القرآنية في خط المأساة، بكل أبعادها النفسية و الجماعية، التي لايمكن أن نتصورها أو نتخيلها كما هي.

و يأتي الوعيد الإلهي كفاصل هام بين مشاهد المسرحية ، كمثل هذا التصوير القرآني، قال عز و جل معقبا على المشهد السابق :(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) الأعراف: 40. ففي هذا المشهد التصويري المحض و التخييلي المبدع ربط عز و جل بين دخول هؤلاء الضالين الجنة، وبين دخول الجمل (البعير) أو الحبل الغليظ في سم الخياط؛ أي في ثقب الإبرة. فتحقق شرط دخولهم الجنّة متوقف أساسا على التغيير في طبيعة الأشياء. فالمألوف في واقعنا المرئي و المحسوس من اللاممكن دخول شيء ضخم في شيء صغير، فذلك من المستحيلات التي لا يتقبلها عقل. و إذا كان التصوير من بين جماليات الأداء الفنّي، و كان التخييل وسيلة في التعبير البياني القرآني؛ فالهدف منه هو تقرير حقيقة لامفر منها و هي استحالة تحقق اللاممكن – دخول الكفار الجنّة – و هو في الوقت ذاته؛ تقرير و تيئيس لأهل الباطل في كل زمان و مكان! و بهذا التقريب بين حقيقتين متباعدتين، استقلت هذه العبارة القرآنية، الفريدة من نوعها، برسم صورة قريبة من محسوس المخاطبين.

و للزيادة في تقريع أهل الباطل المكذبين بآيات الله، المستكبرين عنها. خصص القرآن الكريم في هذا العرض المسرحي ديكورا خاصا، مستوحى من هذا المشهد الموالي، قال عز وجل :(لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) الأعراف: 41. ففي هذا المشهد التخييلي الجمالي، والمعروض على النظارة، جاء الوعيد الإلهي في صورتين اثنتين معبرتين عن المصير الأسود! فالمعتاد عند العامة و الخاصة، لفظ (مِهَادٌ) تعني الفراش المريح، لكنه في هذا المشهد التصويري استعير لغير محله، فهو مهاد و لكنه ليس للراحة و للنوم، لأنه من نار! و من خلال التعبير القرآني حملت هذه الكلمة مدلولا جديدا، مخالفا للحقيقة الشائعة، أو للوظيفة المعتادة للشيء. و تكمل (غَوَاشٍ) رسم صورة العذاب الحسّي، الذي لا يمكن أن تدركه أية طاقة

تخييلية بشرية، فالصورة التي يلقيها في الخيال كون (غَوَاشٍ) هي عبارة عن طبقات نارية بعضها فوق بعض، تغطي أهل الباطل من كل جانب، دلالة على إحاطة جهنم بهم، و حصرها لهم. و خلاصة القول، إن التعبير القرآني بهاتين اللفظتين المصورتين هو << **كناية عن انتفاء الراحة لهم في جهنّم، فإن المرء يحتاج إلى المهاد و الغاشية عند اضطجاعه للراحة، فإذا كان مهادهم و غاشيتهم النّار، فقد انتفت راحتهم و هذا ذكر لعذابهم السوء** >>[1].

إن الغاية القرآنية من التصوير اللفظي في هذه المسرحية، هو إثارة أعمق المشاعر في النفس البشرية، فمثل هذا التصوير يثير فيها الهلع، لأن الغاية منه الترهيب من سوء الأعمال؛ كالتكذيب بآيات الله عز و جل، فميزة هاتين اللفظتين الفنية، هي قوة التصوير مع الإيجاز، الذي اقتضاه فن السخرية، و من هنا فإن << **أروع درجة من درجات السخرية هي التي تعتمد على الإشارة اللماحة و تقوم على الإيجاز الشديد**>>[2]. و إذا كان المشهد السابق، قد قام بتصوير فعل الدخول، و ما نتج عنه؛ من تلاعن و تباغض. فالمشهد الموالي يغير من اتجاه المسرحية، من العذاب إلى النّعيم، حيث تبدو الصحة النفسية فيه، قال عز وجل : (وَ الذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي من تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَ قَالُوا الْحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهَذَا وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الأعراف: 42-43. في هذا المشهد تلتقى الصورة النفسية بالصورة الحسية الدالتين على حسن العاقبة ، فبالمقارنة بين المشهدين؛ مشهد العذاب و مشهد النعيم، تأتينا صورتان متناقضتان، فإذا كان أهل النّار في النّار يتلاعنون، فذلك نتيجة طبيعية لما في نفوسهم من غل. و إذا كان أهل الجنّة في الجنّة، في أوج سعادتهم، فهذا أيضا نتيجة طبيعية لما يتمتعون به من صحة نفسية؛ إذ تدل الجملة القرآنية المصورة (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ) الأعراف : 43. عليها، و الفعل (نَزَعْنَا) يدل على عملية حسّية – لها دور – يتمثل في تصوير تركيبة نفسية جديدة، باقتلاع الغل البشري من جذوره.

و قد جاء الديكور في هذا المشهد، مخالفا تماما للديكور المخصص لأهل النّار. قال عز و جل : (وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ) الأعراف: 43. فجريان الأنهار يعرض صورة جميلة أخاذة، تلطف من جو الماساة المخيم على المسرحية، لأنها تدل على الأمن و الراحة .

1- تفسير التحرير و التنوير / مج(8-9) ج8 /ص129.

2- السخرية في الأدب العربي – حتى نهاية القرن الرابع الهجري- / نعمان محمد أمين طه / دار التوفيقية للطباعة بالأزهر : القاهرة / ط1 / 1398 هـ - 1987 م / ص 409.

و لأن الجو يدل على السعادة النفسية، يعبر أهل الجنّة عما يحسّون بهذا الدعاء : (وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) الأعراف: 43. إن أهمية الحمد هنا تدل على أن << **حمد الله دعاء فيه طمأنينة نفسية تعفي على ما ترسب في الأعماق من احتزازعواطف أو جموح أحاسيس، و تدفع إلى الصفاء الداخلي و الراحة الوجدانية و الهدوء القلبي** >> [1]. فالحمد من خلال هذه الصورة << **وقود روحي يصهر النفس فيزيل ماران عليها من شوائب اليأس، و يجدد الطاقات و يشحذ الأفئدة بفيض من أمل ورضا و تفاؤل و راحة روحية** >>[2].

و في غمرة السعادة الروحية و النشوة الصافية، يناديهم صوت خفي، يتوجه إليهم بالشكر على تبعيتهم للرسل، و بمناصرتهم إياهم في أحوال الشدة و الرخاء، و لأجل هذه التبعية الأصيلة، يأتي هذا النداء : (وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الأعراف :43. ففي هذا المشهد، ينتقل معنى الإرث من الدلالة الوضعية المتعارف عليها إلى الدلالة السياقية ، التي اكتسبها من طريقة النظم القرآني المبدع، الذي يعطي للفظة معاني أخرى تتساوق و الحدث المعروض.

و من جماليات هذه المسرحية القرآنية، كون المشاهد التصويرية تأتي متسلسلة، ممهدة لبعضها البعض، فكل مشهد مسرحي له استهلال خاص به؛ فمشهد عذاب أهل النّار يبدأ من الاحتضار، و هومشهد ممهد لما بعده. و يأتي مشهد النّعيم الحسّي و المعنوي ممهدا للمشهد الحواري الموالي؛ حيث يلتقي أهل السعادة بأهل الشقاء، في هذا المشهد الرابع من هذه المسرحية الأخروية قال عز و جل : (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ).الأعراف:44-45. ينفتح المشهد هنا على حوار بين أهل الجنّة و أهل النّار ،حيث يبادر الطرف الأول بالحديث قائلين : (أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا) ؟ الأعراف :44. فبهذه المبادرة نلمح فن السخرية ، و بهذه المبادرة أيضا، تحافظ المسرحية على خط السير، إذ يأتي الجواب حاملا لمعاناتهم، (قَالُوا نَعَمْ) الأعراف : 44. ومثل هذا الجواب الموغل في الإيجاز، الواسع المعاني، يعبر عن نفسيات محطمة أهلكتها سوء الخاتمة، فإذا كانت الصور السابقة، قد بينت تحقق الوعد بالتلاعن و الدعاء، و بالمهاد و الغواشي، فإن الإجابة على كل هذا، كان بلفظة تتركب من حرفين ، لكن مدلولها عميق وواسع، و لأن الإجابة لم تكن آتية من مكان فيه الرحمة و الطمأنينة، تبدو المعاناة في هذه الكلمة الموجزة، بل و ترسم باختصار شديد ملامح المأساة .

1-اقرأ / عنوان المقال: الدعاء في القرآن / محمود بن الشريف / ع 280 / 1967 م/ دار المعارف : مصر / ص8 .

2-المرجع نفسه / ص ن .

بعد هذه المحاورة، تتدخل شخصية أخرى خفية، تأتي لتحافظ هي الأخرى على خط السير، هذه الشخصية هي المؤذن قال عز و جل : ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ الأعراف : 44-45. <<... **إنه لتصوير قوي بارع يحرك إليه النفوس ، و يهز المشاعر، ويبين أن النهاية الأليمة المتوقعة لهؤلاء المكذبين إنما هي تسجيل اللعنة عليهم، و الطرد و الحرمان من رحمة الله، مشيرا إلى أسباب ذلك الحرمان الماثلة في ظلمهم الذي كونهم صدهم عن سبيل الله، و بنيتهم إياها عوجا و انحرافا، و كفرهم بدار الجزاء** >>[1]. و من جماليات هذه المناداة أنها توحي بجو مسرحي أخاذ، إذ يصمت الطرفان، ليعبر طرف ثالث بالإقرار عن ثبات المأساة للطرف المستجوب. و بهذا الإعلان الصريح – وقوع اللعنة على الظالمين – يسدل الستار على هذا المشهد، لينفتح المشهد الجديد على شخصيات أخرى، لاهي من أهل الجنّة و لاهي من أهل النّار.

هذه الشخصيات هم أهل الأعراف، الذين أضفى تدخلهم في هذا المشهد الهام جوا انفعاليا جديدا؛ إذ يتولون مراقبة صنفين من الناس؛ صنفا معذبا، و صنفا منعما. قال عز و جل : ﴿وَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَ نَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَ هُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف :46-47 . ففي هذا المشهد المسرحي، تجري أدوار أخر من أعالي الأعراف، و قد وصف الأعراف بالحجاب؛ لأنه سور عازل، و فاصل حصين يمنع اللقاء الجسدي بين الفريقين، و لكنه يسهل اللقاءات الحوارية، و قد كان اللقاء الروحي من أهل الأعراف مع أهل الجنة سريعا، و كان التفاعل و الارتياح باديا، حيث يوجهون تحياتهم القلبية ﴿أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ الأعراف : 46. لأهل الجنّة و في مقابل هذه الصورة، التي ترسم بظلالها الجميلة رسوم الهناء و الصفاء. تأتي الصورة المقابلة عكسية تماما؛ تأتي من رد فعل مضاد للفعل الأول، قال عز و جل : ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف : 47 . ويزداد رد الفعل وضوحا بهذا الخطاب؛ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ الأعراف : 48-49. فبهذه المناداة، يتوجه أهل الأعراف بالتوبيخ لأهل النّار مؤكدين فشل التبعية و الاستكبار في الأرض، معلنين عن إفلاسهم الكبير أمام هذه الحقيقة الواقعة – العذاب –، مذكرينهم بأهم السلوكات التي كانو عليها سابقا؛ ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ ؟ الأعراف :49. فبهذا الاستفهام الإنكاري التعجبي، يميل خط الاتصال لرجال الأعراف جهة أهل الجنّة،

1- تفسير القرآن الكريم –الأجزاء العشرة الأولى– / محمود شلتوت / دار الشروق : القاهرة / ط11 / 1408 هـ – 1988 م / ص 488 .

الذين ظلموا بمجادلات سخيفة من أهل النّار .

و في هذا المشهد الأخير، من هذه المسرحية القرآنية، تبلغ المأساة ذروتها؛ حيث تتجلى في هذا الموقف المتفجر، قال تعالى :(وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَ لَعِبًا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)الأعراف : 50-51. فقد نصت المناداة على جملة طلبية، زادت من اتساع معنى المأساة، إذ وجهتها وجهة معينة، كشفت عنه لغة المحاورة؛ حيث رد أهل الجنّة على طلب أهل النّار، الذي موضوعه : (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) الأعراف : 50. بهذه الإجابة : (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) الأعراف : 50. و بهذه الإجابة المخيبة للأماني، و التي لا تقبل أي تأويل آخر غير الحرمان الأكيد. ينتهي العرض المسرحي على جزء ضخم من المأساة. و بهذا التوكيد الذي لا نقاش فيه، و لارجعة عنه. يسد ل الستار على رمزين متضادين؛ رمز كافر، و رمز مؤمن. و قد جسدت المعاناة انفصالا روحيا بين طرفين لالقاء بينهما بعد الجزاء ! ففي طيات المعاناة، و من وراء الإجابة الأخيرة، يبدو أصحاب الجنّة في رخاء و نعيم، و تبدو الصحة النفسية كصورة واضحة في ردود الأفعال.

و خلاصة القول :

تغلب التراجيديا على هذه المسرحية القرآنية، فمن البدايات الأولى تجسدت مجموعة من المشاهد المخزية الدالة على سوداوية الأحداث، التي تعيشها الرموز الكافرة. وعلى هذا الأساس، تعد التراجيديا << **اللبنة الرئيسية في تشكيل المسرحية و إقامة صرحها الضخم** >>[1]. و يمكننا تصور مخططا لسير المأساة في هذه المسرحية كالآتي :

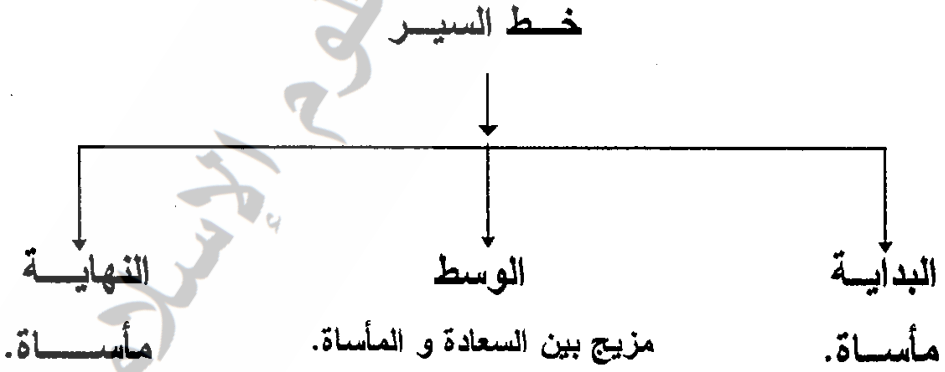

و من هذا المخطط، يمكن تصور خط المأساة ؛ إذ يمتد حتى يبلغ نقطة الفصل بين مشاهدها، و ذلك؛ بتصوير مشاهد للنّعيم. ثم يتواصل بمجموعة من المشاهد الأخرى. حتى تبلغ نهايتها، أو تستوفي حقها من التصوير.

1- أحمد شوقي و المسرح الكلاسيكي الفرنسي – دراسة مقارنة- / سمير شبال /مخطوط رسالة ماجيستير/ ص 189 .

و من هذا التحليل، نصل إلى أهم شيء، و هو أن الحوار أدى دورا جماليا في تكاثف الصور و ترابطها و تسلسلها؛ حيث حافظ على جوهر العرض، الذي يدعو إلى توحيد الله عز و جل، و الإيمان بما جاء به الرسل و ما وصوا به. و قد ساعد على التلاحم الشديد بين المشاهد المتنوعة، التي << ... **تضافرت في رسمها الألفاظ و الدلالات المصاحبة، و الصور البيانية، و تجسيم المعنوي و تشخيصه، و تشكيل المكان و نقله. بحيث أصبحت الآيات لوحة متكاملة في التعبير الفني، من حركة مادية، و حركة انفعالية، إلى ظلال الخوف المترسب و الظاهر، إلى التلون في المشاعر، إلى اللون حيث ظلمة الباطن المنافق، و خداع الضياء الظاهري، مما يجعل التضاد محورا تعبيريا ساعد على رسم الصورة و تجسيمها**>>[1] .

1- مجلة دعوة الحق /عنوان المقال: من جماليات التصوير في القرآن الكريم / محمد قطب عبد العال / ع 99 / س9 / 1410 هـ - 1990م/ رابطة الأدب الإسلامي : مكة المكرمة / ص 61 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :

القصـــة.

تحتل القصة في القرآن الكريم مكانة عظيمة؛ فهي إحدى الوسائل التي تدعو إلى معرفة الله معرفة حقيقية.

و إذا ما تتبعنا الاشتقاق اللغوي لكلمة قصة، نجد المراد منها << **هو كشف عن آثار، و تنقيب عن أحداث** ...>>[1]. و القصة في القران : << **إنما تتبع أحداثا ماضية واقعة** ...>>[2]. لاعتبارها : << **من قبيل الأنباء أي الأخبار التي بعد الزمن بها و اندثرت أو كادت تندثر فهي من أنباء الغيب** >>[3]. و هذا عكس القصة الأدبية – في أغلبها – التي تعتبر << **حكاية محبوكة لشخصيات إنسانية ، تعيش في بيئة معينة، و تمثل قيما مختلفة...**>>[4].

و من النصوص القرآنية في آيات العذاب و النّعيم، التي لمسنا فيها جانبا قصصيا، قوله عز و جل : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۞ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۞ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۞ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ الصافات : 50-60 .

في هذا الجو البهيج، و المعبر عن كل مظاهر النعيم الحسّي و المعنوي، يبدأ الراوي قصته في الجنّة، (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) الصافات:51.هذا الراوي النكرة يشارك سامعيه السمر، بسرد جزء من حياته الماضية، فمن قوله : (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ)، يكشف عن شخصية جمعته بها علاقة و طيدة في زمن مضى غير محدد. و بهذا الاستهلال كشف الراوي عن شخصيتي القصة؛ أولاهما : شخصيته، و ثانيهما : شخصية القرين أوالصاحب، و كلتاهما نكرتان، غير مقترنتين بزمان محدد، أو بمكان معين، فهما تنوبان عن كل الشخصيات التي جمعت بينهما العشرة و الصداقة، و فرّق بينهما الكفر و الإيمان.

أما موضوع القصة، فهو من الموضوعات الخطيرة، التي تعنى بعلاقة الإنسان مع ربه، و هو في الوقت ذاته محور الصراع بين الشخصيتين؛ فمن الأركان التي لايتم الإيمان إلا بها، الإيمان باليوم الآخر

1- القصص القرآني في منطوقه و مفهومه/عبد الكريم الخطيب/دار المعرفة:بيروت/دط/دت/ص48 .

2-من علوم القرآن /فؤادعلي رضا / دار اقرأ : بيروت / ط1/1982م-1402هـ/ص187 .

3-المرجع نفسه / ص ن .

4-اللغة العربية – نظامها و أدبها و قضاياها المعاصرة -/ محمود أحمد أبو عجمية /دار الهلال : عمان / ط 2 معدلة / 1411هـ – 1990 م / ص 150 .

والتصديق بقضية البعث بعد الموت، و بعد الصيرورة إلى تراب وعظام، إذ يشكل هذا الأمر الخطير للقرين سؤالا ضخما، كشف عنه الحوار الذي دار بينه و بين الراوي.

و من المظاهر الجلية في هذه القصة الفنّية غلبة الحوار المعتمد على مقولات الراوي، الذي قدم من خلالها << **وثيقة لفظية و صورة صوتية** >>[1]، إذ بدأ جلساءه محدثا، معتمدا على إثارة الانتباه، و ذلك بحسن الاستهلال؛ (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) .

و قد أفصح الحوار عن القضية الأم – الحادثة – و الشاغل الأساسي للقرين، المتردد في التصديق بالبعث، لأن اللامعقول عنده << **أن يعود الإنسان كما بدأ بعد أن شبع منه الفناء، و مرت عليه الدهور و كرت عليه آلاف السنين أو ملايينها** >>[2]. حيث بدا التنكر واضحا أثناء مخاطبته لشخصية الراوي قائلا (أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۞ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَدِينُونَ) ؟ الصافات : 52-53. فهذه الاستفهامات الإنكارية، هي العقدة لدى القرين، إذ تكشف عن العلاقة التصادمية بينه و بين الراوي، و عن فكرة الصراع و التضاد في الاعتقاد ! فمن خلالها، يبدو ذا شخصية متنكرة، معاندة و متعنتة؛ لإيمانها القاطع بأن لا حياة بعد الموت، فذلك مستحيل في تصورها. في الوقت ذاته، يبدو الراوي من الاستفهامات ذا شخصية سليمة، من ناحيتي التفكير و المشاعر، و بهذا يخرج الاستفهام من معنى الإنشاء إلى الخبر ليدل على أن الراوي مصدقا بقضية الإحياء بعد الموت، للحساب و الجزاء.

و لأن الإيجاز هو الميزة الفنّية في هذه القصة، ينقلنا الراوي نقلة مكانية مباشرة، من دنيا الأعمال، إلى الآخرة دار الجزاء، و ذلك في سرعة خاطفة، معتمدا مرة ثانية على التشويق، منبها جلساءه قائلا : (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ) الصافات : 54. فمن هذه الجملة تبدأ الحادثة الثانية المشكلة لجسم القصة بعودة الراوي للتحاور مع خليله المغضوب عليه، و هذا بعد أن يأخذه حب الاطلاع و الفضول لمعرفة مصيره المحتوم، من بعد البعث و الإحياء. قال عز و جل : (فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) ؟! الصافات : 55-59. فبهذه الآيات القرآنية، تصبح القصة قصتين؛ قصة ماضية يحكيها الراوي، وقصة حاضرة تروى عنه، حيث يبدو فيها ساخطا على خليله – بعد أن رأى مقعده من النّار – مسفها فكرته؛ فكرة التكذيب بالبعث، مرددا بسخرية لاذعة ماكان يعتقده، من أن الموت هو النهاية السرمدية لكل الخلائق، و أن العذاب غير واقع. وهو بهذا الاعتقاد قد بنى كل مقدماته على الخطأ؛ ففي ظنه أن الإنسان حين يموت، يصبح ترابا و عظاما، و بهذا يختفي رسمه، و على هذا الأساس، لاتوجد أية قدرة لإرجاعه صورته السابقة !.

1-من علوم القرآن / فؤاد علي رضا / ص 192 .

2- التعبير الفني في القرآن / بكري شيخ أمين / دار الشروق : بيروت / ط 4 / 1400 هـ - 1980 م / ص 254 .

إن المستخلص من هذا التحليل، أننا نرى **<<... تدبيرا عجيبا في توزيع المشاهد القصصية توزيعا محكما متوازنا، بين الحدث و الشخصية، فلا تجد موقفا من المواقف تستأثر به الشخصية و حدها، أو الحادثة وحدها... و إنما تلتقي الشخصية مع الحادثة، أو الحادثة مع الشخصية، فيتخلق من اجتماعهما مضمون، هو الذي يصبح بطل الموقف ...>>**[1] .

و خلاصة القول :

اعتمدت القصة على جزئية معينة واضحة، هي لحمة هذا البناء الفنّي المتميز، حيث وقع فيها التركيز على الأسباب و النتائج. وقد تكونت العقدة من مجموعة من الاستفهامات، كانت لحمة الحوادث المتسلسلة، و المرتبة ترتيبا زمنيا، أو ذروة التأزم في القصة. وقد تلاها الحل باطلاع الراوي على خليله باكتشافه للمصير المحتوم الذي لاقاه. وقد التحمت الأسباب بالنتائج في برهة زمانية قصيرة، رغم التباعد الزمني بين الدنيا و الآخرة. فكانت الخاتمة هي المجازاة الحسية و المعنوية؛ فالكافر بالبعث كان جزاؤه النّار – أو سيكون – أما المؤمن بالبعث فكان جزاؤه – أو سيكون – الجنّة. و للقصة سمة أخرى؛ تمثلت في التداخل الشديد بين أركانها، مما جعل الفصل بينها صعبا، إذ تشكل بنية متماسكة. و هذا أيضا سر كبير من أسرار كتاب الله عز و جل في آيات العذاب و النّعيم.

1-القصص القرآني في منطوقه و مفهومه / عبد الكريم الخطيب / ص 41 .

المبحث الثالث :

الخطـــابـة

اقترن تنوع موضوعات المحاورة في ايات العذاب و النّعيم في القرآن الكريم بتنوع الأساليب و الفنون فيها. و من بين النصوص القرآنية. التي كان لها حظ من هذه الدراسة القرآنية حوار الشيطان مع أهل النّار. قال عز و جل :

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إبراهيم : 22.

فقد غلب على هذا الحوار القرآني الأسلوب الخطابي، و كان الدليل اللغوي على ذلك استعمال ضمائر الخطاب للجمع (كم) في كثير من الألفاظ (**وَعَدَكُمْ.....وَعَدْتُّكُمْ....أَنفُسَكُمْ .....بِمُصْرِخِكُمْ....**) و على هذا الأساس و غيره، فقد تبين أن هذا الحوار في نظمه القرآني الفريد هو عبارة عن خطبة قرآنية قصيرة، إذ توفرت فيها شروط الخطبة، من مقدمة وعرض و خاتمة، إلى جانب الخصائص الفنّية، كالإيجاز و اختلاف الأساليب البلاغية من جملة إلى أخرى، و لعل السائل يسأل : كيف أمكن تقرير كون حوار الشيطان عبارة عن خطبة قصيرة ؟.

الرجوع إلى التفسير اللغوي لكلمة حوار ، يجعلنا نؤكد العلاقة الوطيدة بين الحوار و الخطاب، فقد جاء في لسان العرب << **الخطاب و المخاطبة : مراجعة الكلام** >>[1]. و الخطابة << **هي الكلام الذي يلقى في جمهور الناس للإقناع و التأثير** ...>> [2]. أو بمعنى آخر هي << **فن أدبي يعتمد على الكلام الشفوي في الاتصال بالناس لتوجيههم و إرشادهم أو للطلب إليهم أمرا من الأمور أو إبلاغهم رأيا في مشكلة ذات طابع جماعي** >>[3]. و قد كان الهدف القرآني من خطبة الشيطان توجيه الناس و إرشادهم، حيث لمس ذلك في الهجوم الذي شنه على أهل النّار في النّار. و منه فالمسألة التي عرضها على سامعيه، تعتبر ذات طابع جماعي. لأنها أس البلاوي، فموضوعها الكفر بالله، و ماتفرع عنه من أفعال مخزية و عاقبة وخيمة .

أما من الناحية الشكلية ، فالبنظر في هيكلها البنائي ، فقد توفرت فيها أربعة أركان هي <<..."**الناقل" و المنقول** " و "**المنقول إليه** " و أداة " **النقل** " ...>>[4]. و هذا في إطار المقدمة و العرض و الخاتمة ، وعلى هذا الأساس ، فمخطط الخطبة يجيء كالآتي :

1- ج2/ص 1194 /مادة خطب .

2- الأسلوب – دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية- / أحمد الشايب / ص 116

3- قاموس المصطلحات اللغوية و الأدبية / إميل يعقوب و آخرون / ص 193 .

4- في أصول الحوار و تجديد علم الكلام / طه عبد الرحمن / د د / ط 1 / يناير 1987 / ص 31 .

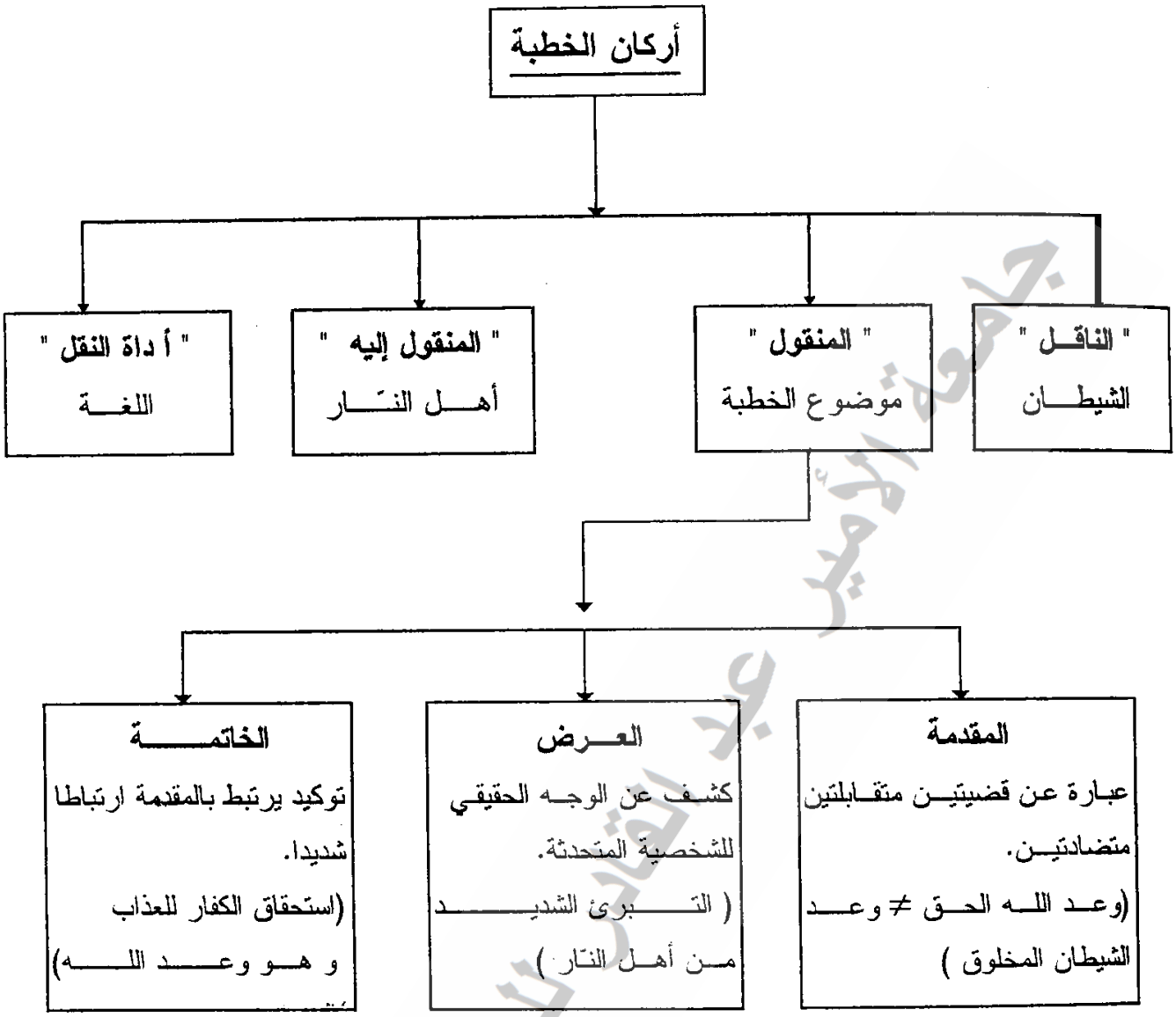

من خلال هذا المخطط، نلاحظ التدرج من المقدمة إلى الخاتمة، تخللهما عرض لمختلف القضايا و الأفكار و المشاعر. إذ نلمس في المقدمة براعة الاستهلال القرآني، قال عز و جل: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ). و المعنى البلاغي لبراعة الاستهلال<< **أن يذكر الإنسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاما دالا على انتهائه** >>[1]. و عليه فالميزة الفنية في هذه الخطبة القرآنية كون المقدمة و الخاتمة تلتحمان التحاما شديدا؛ إذ تأتي المقدمة معبرة عن أن وعد الله حق،و تقابلها في الوقت ذاته أن وعد الشيطان مخلوف،و تتطابق الخاتمة و المقدمة في (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).وهذا نصف من وعد الله الحق.

1- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان/ابن القيم الجوزية/ص139.

أما من ناحية العرض ،فقد أشار الشيطان في خطبته إلى أهم القضايا :

أولها: تقرير أن الإنسان مخير ،و ليس مسيرا، (وَمَاكَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) .

ثانيها : إن الطرف المستحق لتوجيه اللوم لنفسه هم أهل النّار؛ (فَلَا تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ) .

ثالثها : النفي المطلق لإمكان الإصراخ أو الإنقاذ؛ (مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ) .

رابعها : إعلان الكفر بإشراكهم إياه في عبادة الله عز و جل؛ (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ) .

و تأتي الخاتمة كنتيجة طبيعية عن كل هذه القضايا؛ حيث روعي فيها الإيجاز و الوضوح، فهي تعتبر لحمة الخطبة. فمن خلال التركيب الجملي؛ يفهم أن التوكيد هو الإنذار القرآني الأخير للإنسان في الأرض، و هو الحقيقة الجزئية المقتطعة من و عد الله الحق. أو بتعبير آخر؛ هو ملخص الجزاء الأخروي – العذاب–.

أما من الناحية الفنّية؛ فمن جماليات التعبير القرآني اتسام الخطبة بقصر الجمل، و بعدم << **الفصل البعيد بين أجزائها**>>[1]. و قصر الجمل من صميم الإيجاز، و الإيجاز << **ذروة البلاغة** >>[2]. و هذا الإيجاز هو ليس حلية فنية لمجرد التوشيح؛ فبه تتسع المعاني و تكثر الإيحاءات؛ فمن خطبة الشيطان نفهم الكثير من الدروس و العبر، و نلحظ بعين الحكيم ما الذي يخبأه هذا العدو اللدود من مفاجآت غير سارة لبني آدم – خصوصا – يوم القيامة. فالميزة الفنية للإيجاز في هذه الخطبة يتواءم و أسلوبها؛ فالخطبة الموجزة تضع النقاط على الحروف في وقت قياسي، يترك تأثيره في النفوس، فخطبة الشيطان من أكبر الصدمات النفسية التي يتلقاها أهل النّار؛ لأنها تزيدهم حسرة إلى حسرتهم، و تساهم بشكل واسع في إيلامهم.

و من الجماليات الفنّية أيضا حسن التخلص من موضوع إلى موضوع آخر، مع الترابط الشديد بين الموضوعات، و قد استمد حسن التخلص جمالياته من تنوع الأساليب البلاغية، من توكيد و نفي و نهي و تقرير. زيادة على هذا، وافق الأسلوب الإنشائي مقتضى الحال في تصوير الشخصية الناطقة من جوانب كثيرة؛ انفعالية، اعتقادية، سلوكية. أما الأسلوب الخبري فقد اتسق مع المقدمة و الخاتمة، لأنهما أساس الخطبة اللتان قامت عليهما. و يمكننا من خلال هيكل الخطبة أيضا وضع مخطط آخر للأسلوبين :

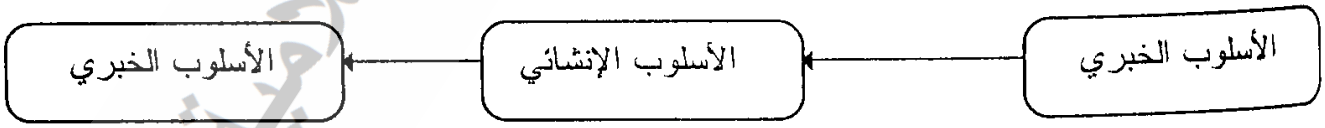

أو بتعبير آخر، إن الأساليب الإنشائية جاءت بين أسلوبين خبريين؛ مما يدل على الوحدة الفنّية بين المقدمة و الخاتمة، و على الوحدة الفنية بين أجزاء العرض.

1- الخطابة و إعداد الخطيب/عبدالجليل عبده شلبي/دار الشروق : القاهرة/ط3/1408هـ-1987م/ص24.

2- الإبلاغية في البلاغة العربية/سمير أبوحمدان/منشورات عويدات الدولية : بيروت/ط1/1991م/ص128.

و خلاصة القول :

تميزت الخطبة بالتسلسل المنطقي بين المقدمة و العرض و الخاتمة؛ هذا التسلسل استمد قوته من حسن الترتيب بين القضايا، أو من التدرج من القضية الكبرى (المقدمة) إلى القضايا الجزئية (العرض) إلى (الخاتمة).

علاوة على هذا فقد التحم الاعتقاد بالانتقاد؛ إذ بدا الشيطان في هذه الخطبة مؤمنا بالله، معترفا بألوهيته، و بإحدى صفاته؛ صدق الوعد. مطعما اعتقاده بانتقاد بالغ القساوة، ذي لهجة زاجرة؛ هدف منها توبيخ السامعين و تبكيتهم بسبب تبعيتهم له. و عليه فمن وراء وقوف الشيطان على جمهور المخاطبين مقصد قرآني؛ و هو الكشف عن الشخصية الحقيقية لهذا العدو، لتنبيه الغافلين المتبعين له في الدنيا، كيف سيكون جزاؤهم في الآخرة.

و لأن الأمر خطير؛ فقد تجسدت شدة الالتئام و الانسجام بين الجمل، إذ بدت المعاني آخذة بعضها برقاب بعض. و الدليل على هذا تلك الروابط البسيطة التي وظفت في النص كالواو الرابطة التي أفادت الجمع و المشاركة الفعلية، مثل قوله : (فَلاَ تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ). وعليه يمكننا أن نقول إن الانسجام و الالتئام في المعاني المتضمنة استمد قوتيهما الإبلاغية من هذه الأدوات البسيطة في بنائها اللفظي.

و تأتي لغة الخطبة في إطار هذه السمات كلها واضحة جلية، على أساس أن القرآن كتاب دعوة و إبلاغ لأجل الاعتبار، حتى لا تكون حجة للناس بعد كل هذه الإنذارات و الصور و المشاهد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــــاتمـــــة

نصل في آخر هذه الدراسة القرآنية الفنّية إلى أهم الملاحظات التي وقفنا عليها :

تعتبر آيات العذاب و النّعيم هيكلا هاما من الآي القرآنية ذات شقين هامين :

فآيات العذاب هي التي تضمنت وحوت تصوير العذاب بوسائله و شخصياته و زمكانياته. و رغم ما صورته من أهوال. لا طاقة للمعذب بها، فقد حازت على جانب المتعة الفنّية، مما جعلها تبلغ الذروة في ترك المتأمل في حالة من الذعر، تلفحه نيران الآخرة عن بُعْد!

أما آيات النّعيم فهي الايات التي تضمنت و حوت تصوير النّعيم بشخصياته و زمكانياته. و قد حازت هي كذلك مرتبة عليا في التفنن في التصوير؛ تصوير النّعيم الحسّي و النفسي معاً.

و قد اعتمدت آيات العذاب و النّعيم في جانبي التصوير و الحوار على قاموس خاص من الألفاظ القرآنية. إذ أبدت الألفاظ في النظم القرآني مهارات لغوية في التصوير الفنّي. وقد كان لكل آية و لكل نص جماليات خاصة، أظهرتها الألفاظ بالتركيب الجملي المفرد و المتعدد، فهذه المفردات هي اللبنات الأساسية لبيئتي العذاب و النّعيم.

فآيات العذاب و النّعيم بحر من الأسرار الإعجاز الفنّي في القرآن الكريم. إذ اتسمت بسمات كثيرة منها :

- من الإعجاز القرآني أن نرى الإيحاء النفسي للكلمة الحسّية، فالدلالات المتضمنة أس مكين في التعبير القرآني.
- كان لعنصري الزمان و المكان مكانة هامة في آيات العذاب و النّعيم.
- التشويق سمة بارزة في آيات العذاب و النّعيم.
- قربت الآيات عن طريق التعبير بالتصويرالبعيد ، إذ جعلته منظورا مشاهدا، فالقرآن الكريم بهذا معجز في نهاية الحسن و البيان.
- حوت هذه الآي حشدا من الصور، لها القدرة على التحرك داخل الخيال البشري، و من ثمّ التأثير في الوجدان.
- إنّ آيات العذاب و النّعيم عالم غيبي جديد، تعجز المخيلة الإنسانية على إدراكه، رغم الإخبار عنه بألفاظ عربية متداولة، و هذا مايؤدي بنا إلى القول في قضية هامة، و هي أن النظم القرآني قد لعب دورا هاما في التصوير، فهو الإطار البلاغي. فلا يتوقف النظم عند توخي معاني النحو فيما بين الكلم. فالنظم في آيات العذاب و النّعيم أفادنا بمجموعة من التراكيب التصويرية الخاضعة لنظام لغوي واحد؛ هذا النظام يتمثل في الألفاظ المعبر بها، هذه الألفاظ المألوفة، و المتعارف عليها، تصبح في آيات العذاب و النّعيم ذات معان جديدة؛ باعتبار عالم الغيب عالما لا يمكن إدراكه بالعين المجردة، بل عن طريق التصوير بالتخييل و الإيحاء، و عن طريق التصوير باللون، و عن طريق التصوير بالحركة.

و بهذه السمات تميزت آيات العذاب و النّعيم بلغة راقية في تعابيرها و صورها و تراكيبها. فهي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن صورة الإنسان في الآخرة، الصورة في جانبها السلبي – العذاب – و الصورة في جانبها الإيجابي – النّعيم.

علاوة على هذا، فمن أهم القضايا البلاغية التي اتسمت بها آيات العذاب و النّعيم الإيجازوالإطناب في تصوير العذاب و النّعيم بمجالاتها المتنوعة.

– الحوار التصويري سمة من سمات آيات العذاب و النّعيم؛ إذ اتضحت صورة الإنسان في الآخرة في حوارته المتنوعة مع نفسه، و مع غيره. و قد كان الحوار التصويري ملتقى الجزاءات المتنوعة؛ الجزاء بالمهانة، اللامبالاة، و التحقير لأهل النّار. و الجزاء بالتكريم لأهل الجنّة.

و من الإعجاز الفني الملموس في الحوارات، اعتبارها فصلا مسرحيا مستقلا بمشاهده، و بموضوعاته المتنوعة، و بشخصياته.

و قد كانت النفس في كل هذه الآيات المقصد الرئيسي إذ سارت آيات الحوار في منحنى نفسي فريد، بدت فيه مجموعة من الانفعالات، منها انفعال الحزن، الندم، الألم، التحسر، القسوة. وعلى هذا الأساس شكلت هذه الانفعالات الصورة النهائية لأنفس جديدة، و سلوكات جديدة، ولدت من عمق المحنة الجديدة. هذا بالنسبة لآيات العذاب. أما آيات النّعيم فقد بدت من خلالها الانفعالات الإيجابية، كانفعال الراحة، و السعادة، والاطمئنان و غيرها.

و قد وقفنا على جانب آخر من الإعجاز الفني في حوارات آيات العذاب و النّعيم، تمثلت في تصوير الأعضاء في حوار مع أصحابها، كأنها شخصيات ناطقة.

أما بالنسبة للأساليب، فقد استمد التصوير الفنّي جمالياته من الأساليب البلاغية المعبر بها عن العذاب و النّعيم. و قد جمعت هذه الأساليب بين الفن البلاغي و بين الحق. إذ بدا الأول في حسن التأليف، و التعابيرالمتنوعة، و بدا الثاني في إقرار المتحاورين بوحدانية الله عز و جل و بربوبيته.

– كان لفن القصة و المسرحية و الخطابة دور جلي في الدعوة إلى معرفة الله عز و جل معرفة حقيقية عن طريق التصوير الفنّي.

و في آخر هذه الدراسة يمكننا أن نلخص هذه الخاتمة في نقاط أربع :

1– التصوير الفنّي هو الأداة المفضلة في أسلوب آيات العذاب و النّعيم.

2– القرآن معجزة لغوية و فنية، فهو مدرسة أدبية متميزة بفنها و إبداعها و جمالها، فهي عالم رحيب للفن و للمتعة. أو بحر واسع من أسرار الإعجاز الفنّي البلاغي في القرآن الكريم.

3– لاحظنا دقة التصوير القرآني للنفس البشرية، و دقة التحليل لها في جوانب عدة، علاوة على هذا يمكننا استخلاص دراسة تفصيلية تحليلية، و استخلاص معاني بسيكولوجية كثيرة. إذ كشفت هذه الآيات بسيكولوجيا جديدة لإنسان الآخرة في عذابه و نعيمه على السواء.

4- تجسد الإعجاز الفنّي في آيات العذاب و النّعيم من خلال التصوير في تحدي التراكيب القرآنية للخيال البشري أيما تحدٍ، فمع البساطة في التركيب تبدو الصعوبة في إدراك الصور و المشاهد إدراكا مفصلا و جليا.

و تبقى الآخرة بآيات العذاب و النّعيم عالما غيبيا بعيدا غير محسوس، و لكنه قريب. و تبقى آيات العذاب و النّعيم آيات قرآنية مهما وصفت بالصور و المشاهد. مهمتها الترهيب و الترغيب، و قوة الإقناع بحتمية مآل هذه العواقب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر و المراجع.

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

- أ -

1= أبوبكر الباقلاني-جلال الدين السيوطي/الإتقان في علوم القرآن/دار المعرفة :بيروت/د ط/د ت.

2- أبوحيان الأندلسي/تفسير النهر الماد من البحر المحيط/تقديم و ضبط : بوران و هديان الضنّاوي/مؤسسة الكتب الثقافية-دار الجنان : بيروت/ط1/1407هـ-1987م.

3- أبوالسعود/تفسيرأبي السعود/مؤسسة التاريخ العربي-دار إحياء الثراث العربي : بيروت/ط2/1411هـ-1990م.

4- ابن كثير/تفسير ابن كثير/دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع : بيروت/طبعة جديدة مصححة/دت.

5- أبوعبيدة معمرابن التيمي/مجاز القرآن/تعليق : محمد فؤاد سزكين/مكتبة الخانجي : مصر/دط/1988م.

6= أحمد مصطفى المراغي/ تفسير المراغي/ شركة مصطفى البابي الحلبي : مصر/دط/1365هـ-1946م.

7-أحمد بن محمد بن علي/ كتاب المصباح المنيرفي غريب الشرح الكبيرللرافعي/دار القلم : بيروت/ دط/دت.

8- ابن دريد/جمهرة اللغة/حققه : رمزي منير بعلبكي/دار العلم للملايين : بيروت/ط1/1987م.

9- ابن منظور/لسان العرب/حققه : عبدالله علي كبير-محمد أحمد حسب الله-هاشم محمد الشاذلي/دار المعارف : مصر/دط/دت.

10- إميل يعقوب-بسام بركة-مي شيخاني/قاموس المصطلحات اللغوية و الأدبية/دار العلم للملايين : بيروت/ط1/1987م.

11-أبوهلال العسكري/كتاب الصناعتين-الكتابة و الشعر-/تحقيق : علي محمد البجاوي-محمد أبو الفضل إبراهيم/المكتبة العصرية : صيدا/دط/1406هـ-1986م.

12- ابن القيم الجوزية/الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان/دار الكتب العلمية : بيروت/دط/دت.

13- أحمد الهاشمي/جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع/دار الكتب العلمية : بيروت/دط/دت.

14- أحمد بسّام ساعي/الصورة بين البلاغة و النقد/المنارة للطباعة و النشر و التوزيع : دمشق/ط1/1404هـ-1984م.

15- إبراهيم السامرائي/من أساليب القرآن/مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع : بيروت- دار الفرقان : عمان/ط1/1403هـ-1983م.

16- أحمد شوقي قاسم/المسرح الإسلامي-راوفده و مناهجه-/دار الفكر العربي : القاهرة/دط/دت.

17- إبراهيم زيد الكيلاني-همام عبد الرحيم سعيد-صالح ذياب هندي/دراسات في الفكر العربي/دار الفكر : عمان/ط4/1992م.

- ب -

18- بكري شيخ أمين/التعبير الفني في القرآن/دار الشروق : بيروت/ط4/1400هـ-1980م.

- ت -

19- توفيق محمد السبع/نفوس و دروس في إطار التصوير القرآني/سلسة البحوث الإسلامية/السنة الثالثة/1391هـ-1971م.

- ح -

20- حسن ضياءالدين عتر/بينات المعجزة الخالدة/دار النصر : سوريا/ط1/1395هـ-1975م.

21- حنفي بن عيسى/محاضرات في علم النفس اللغوي/ديوان المطبوعات الجامعية-المؤسسة الوطنية للكتاب : الجزائر/دط/دت.

22- حسن درويش/النقد الأدبي الحديث-مقاييسه و اتجاهاته و قضاياه و مذاهبه-/مكتبة النهضة المصرية : القاهرة/ط2/1991م.

- ر -

23- الراغب الأصفهاني/المفردات في غريب القرآن/تحقيق و ضبط : محمد سيد كيلاني/دار المعرفة : بيروت/دط/دت.

24- الرماني و الخطابي و عبدالقادر الجرجاني/ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/حققها و علق عليها : محمد خلف الله-محمد زغلول سلام/دار المعارف : القاهرة/ط4/دت.

- ز -

25- الزمخشري/الكشاف/صححه : مصطفى حسين أحمد/دار الكتاب العربي : بيروت/ط3/1407هـ-1987م.

26- الزركشي/البرهان في علوم القرآن/تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم/دار المعرفة : بيروت/دط/دت.

- س -

27- سيد قطب/التصوير الفني في القرآن/دار الشروق : القاهرة/ط10/1408هـ-1988م.

28- ... /مشاهد القيامة في القرآن/دار الشروق : بيروت/ط7/1403هـ-1983م.

29- سمير أبو حمدان/الإبلاغية في البلاغة العربية/منشورات عويدات الدولية : بيروت/ط1/1991م.

- ش -

30- شكري محمد عياد/يوم الدين و الحساب/دار الوحدة : بيروت/ط1/1980م.

- ص -

31- صلاح عبدالفتاح الخالدي/نظرية التصوير الفني عند سيد قطب/شركة الشهاب : الجزائر/دط/دت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ط -

32- الطاهر أحمد الزاوي/ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير و أساس البلاغة/دار الفكر : دمشق/ط3/دت.

33- طه عبدالرحمن/في أصول الحوار و تجديد علم الكلام/دد/ط1/1987م.

- ع -

34- عبدالكريم الخطيب/التفسير القرآني للقرآن/ملتزم الطبع و النشر و التوزيع : دار الفكر العربي : القاهرة/دط/دت.

35- .../القصص القرآني في منطوقه و مفهومه/دار المعرفة : بيروت/دط/دت.

36- عبدالقاهر الجرجاني/دلائل الإعجاز/قرأه و علق عليه : محمود محمد أبو شاكر/مطبعة المدني : القاهرة/ط2/ 1410هـ-1989م.

37- عمر السلامي/الإعجاز الفني في القرآن/مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله : تونس/دط/دت.

38- عبدالعزيز عتيق/علم المعاني/دار النهضة العربية : بيروت/دط/1405هـ-1985م.

39- عبدالسارّ حسين زموط/من سمات التراكيب-دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني-/مطبعة الحسين الإسلامية : مصر/ط1/1413هـ-1992م.

40- عبدالعزيز أبو سريع ياسين/الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية/مطبعة السعادة : /ط1/1410هـ-1989م.

41- عبدالحليم حفني/أسلوب المحاورة في القرآن الكريم/الهيئة المصرية العامة للكتاب : مصر/ط2/1985م.

42- عبدالمالك مرتاض/بنية الخطاب الشعري-دراسة تشريحية لقصيدة " أشجان يمانية "-/ديوان المطبوعات الجامعية : الجزائر/دط/دت.

43- عبدالحميد جودة السحار/القصة من خلال تجاربي الذاتية/دار مصر للطباعة : مصر/دط/دت.

44- عبد الجليل عبده شلبي / الخطابة و إعداد الخطيب / دار الشروق: القاهرة/ ط3/ 1408ه-1987م.

45-عز الدين اسماعيل / نصوص قرآنية في النفس الإنسانية/ دار النهضة العربية للطباعة و النشر: بيروت/ دط/دت.

46-علي كمال/ النفس-انفعالاتها- أمراضها- علاجها-/ بغداد/ط1/ 1967م.

47- عباس حسن / النحو الوافي/ دار المعارف: القاهرة/ ط8/دت.

48- عبد العال سالم مكرم/ تطبيقات نحوية و بلاغية/ دار البحوث العلمية: الكويت/ ط1/ 1395هـ-1975م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- غ -

49- غالي شكري/محاورات اليوم السابع-دراسات عن مصر في الأدب العربي الحديث-/دار الطليعة : بيروت/ط1/1980م.

- ف -

50- فتحي عبدالقادر فريد/بحوث و مقالات في البلاغة/توزيع مكتبة النهضةالمصرية : القاهرة /ط1/1404ه-1984م.

51- فؤاد علي رضا/من علوم القرآن/دار اقرأ:بيروت/ط1/1982م.

- ك -

52-كريم زكي حسام الدين /الزمان الدلالي : دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية / مكتبة الأنجلو المصرية : مصر/ط1/1410هـ-1991م.

- م -

53- محمد الأمين الشنقيطي/تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/مطبعة المدني - المؤسسةالسعودية:مصر/دط/دت.

54- محمد الطاهر بن عاشور /تفسيرالتحرير والتنوير / الدارالتونسية:تونس-المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر/د ط /1984 م.

55- محمود شلتوت /تفسير القرآن الكريم-الأجزاء العشرة الأولى-/دار الشروق: القاهرة/ط11 /1408 ه-1988 م.

56- محمد أبو النورالحديدي/تفسيرسورة ص/مطبعة الأمانة: مصر/ط1/1401هـ-1981 م.

57- ميشال عاصي-إميل بد يع يعقوب/المعجم المفصل في اللغة والأدب/دارالعلم للملايين:بيروت/ط1/1987م.

58- المعجم العربي الأساسي/تأليف وإعداد:جماعة من كبارالللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :لاروس/دط/دت.

59- محمود السيد شيخون/الإعجازفي نظم القرآن/مكتبة الكليات الأزهرية:القاهرة/ط1/1398هـ-1978م.

60- .../أسرارالتكرارفي لغة القرآن/مكتبةالكليات الأزهرية:القاهرة/ط1/1403هـ-1983م.

61- منيرسلطان/بلاغة الكلمة والجملة والجمل/منشأة المعارف بالإسكندرية:مصر/دط/دت.

62-محمد محمود حجازي/الوحدة الموضوعية في القرآن/مطبعة المدني:القاهرة/1390هـ-1970م.

63-محمد حسين فضل الله/ الحوارفي القرآن/دارالمنصوري:الجزائر/دط/دت.

64-محمد عبد الله دراز/النبأ العظيم-نظرات جديدة في القرآن-/دارالقلم:الكويت/ط4/1397هـ-1977م.

65-محمد غنيمي هلال/النقد الأدبي الحديث/دار العودة:بيروت/ط1/1982م.

66-مصطفى ناصف/الصورة الأدبية/دارالأندلس:بيروت/دط/دت.

67-محمود أحمد أبوعجمية/اللغة العربية-نظامها وأدبها-وقضاياها المعاصرة-/دار الهلال: عمان/ط2 معدلة/1411هـ-1990م.
68- محمود البستاني/دراسات في علم النفس الإسلامي/دار البلاغة:بيروت/ط2/1411هـ-1991م.
69- محمود عثمان نجاتي/الحديث النبوي وعلم النفس/دار الشروق:القاهرة/ط2/1413هـ-1993م.
70- مصطفى غالب/في سبيل موسوعة نفسية/دار مكتبة الهلال:القاهرة/ط3/1982م.

-ن-

71- نعمان محمد أمين طه/السخرية في الأدب العربي-حتى نهاية القرن الرابع الهجري-/دار التوفيقية للطباعة بالأزهر:القاهرة/ط1/1398هـ-1987م.

-ي-

72- يحيى بن حمزة العلوي/كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر/دط/دت.

الرسائل الجامعية.

73- أساليب الإقناع في القرآن الكريم-مع دراسة تطبيقية لسورة الفرقان- /ابن عيسى عبد القادر بطاهر/مخطوط رسالة ماجيستير كلية الآداب:قسم اللغة العربية وآدابها/الجامعة الأردنية:الأردن/1990م.
74- أحمد شوقي والمسرح الكلاسيكي الفرنسي- مع دراسة مقارنة-/سميرة شبال/مخطوط رسالة ماجيستير/معهد اللغة والأدب العربي/جامعة الجزائر/1992م-1993م.
75- سورة الفرقان-دراسة أسلوبية-/عزيز عدمان/مخطوط رسالة ماجيستير/معهد اللغة والأدب العربي/جامعة الجزائر/1994م-1995م.

الدوريات.

76- إقرأ/ع280/1967/م/دار المعارف:مصر.
77- كتاب الهلال/ع206/ صفر1388هـ-ماي1968م/سلسلة شهرية تصدرعن دار الهلال:مصر.
78- مجلة دعوة الحق/ع99/س9/1410هـ-1990م/رابطة الأدب الإسلامي : مكة المكرمة.
79- مجلة البيان/ع88/ذوالحجة 1415هـ-مايو1995م/المنتدى الإسلامي:لندن.
80- مجلة الأزهر/ع1/س،مج22/1950م/مطبعة الأزهر:مصر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــرس

الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــرس المـوضـــوعـــات

	الصفحـــة
المـقـدمـــة.	1
التـــوطئـــة.	7
الفـــصـــل الأول :	
التصويـر الفنّي في آيـات العـذاب و النّعيـم.	11
المبحث الأول : سمات التصوير باللفظ القرآني.	
1- التصوير الحسّي للنّار.	13
2- التصوير الحسّي لأهل النّار.	16
3- التصوير النفسي لأهل النّار.	22
4- التصوير الحسّي للجنّة.	27
5- التصوير الحسّي لأهل الجنّة.	29
6- التصوير النفسي لأهل الجنّة.	32
المبحث الثاني : سمات التصوير بالعبارة القرآنية.	
1- التصوير بالتكرار.	35
2- التصوير بالإيجاز والإطناب.	39
الفـــصـــل الثـاني :	
الحوار في آيات العذاب و النّعيم بين الوحدة الموضوعية و التصوير النفسي.	48
- الحوار لغة واصطلاحا.	49
المبحث الأول : الحوار الذاتي.	52
المبحث الثاني : الحوار الجماعي.	57
1- حوار أهل النّار	
2- حوار اللّه عز وجل مع أهل النّار	60
3- حوار الأعضاء.	64
4- حوار الملائكة.	66
5- حوار أهل الجنّة.	69
6- الحوار بين أهل الجنّة و أهل النّار.	71
الفصـــل الثـالـــث :	
الأساليب التصويرية في حوارات آيات العذاب و النّعيـــم.	76
المبحث الأول : الاستفهام.	78
المبحث الثاني : التمنّي.	88
المبحث الثالث : التوكيد.	92

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع :
القوالب التصويرية في آيات العذاب و النعيم. 99
المبحث الأول : المسرح. 100
المبحث الثاني : القصة. 110
المبحث الثالث : الخطابة. 113
الخاتمة. 117
قائمة المصادر و المراجع. 121

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية